وزارة التعليم العالـي والبحث العلمي
جامعة ديالـى
كلية التربـية للعلوم الإنسانية

التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت 685 هـ) في كتابه ﴿ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ﴾

رسالة تقدَّم بها
منذر محمود جاسم خليل
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرسول سلمان الزيدي

ذو الحجة
تشرين الثاني
1432 هـ
2011م

الفصل الأول
التوسع في المستوى النحوي

سأتناولُ في هذا الفصل الكلام على التوسع في المعنى في التعبير القرآني ضمن المستوى النحوي ، وسأضعُ بين يدي البحث أربعة أمثلة لكل فقرة وأُشير في الهامش إلى الأمثلة الأخرى في مواطن ورودِهَا في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وعلى وفق المباحث الآتية :

المبحث الأول
الفعل والمصدر والتضمين

أولاً : الفعل :

قد يؤدي الفعل إلى التوسع في المعنى وذلك باحتمالِهِ أكثر من وجه ومن الأمثلة التي جاءتْ عند البيضاوي :

1- قـــال تعـــالى : چﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞچالبقرة : 20

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : " أضاء إما متعدٍ والمفعول محذوف بمعنى : كلما نوَّر لهم ممشىً أخذوه ، أو لازم بمعنى : كلما لَمَعَ لهم مشوا في مطرح نوره "[1] ، وذكر الفراء أنّ للفعل (أضاء) لغتين ؛ إذ قال : " فيه لغتان : يقال : أضاء القمرُ ، وضاء القمرُ ، فمن قال : ضاء القمرُ ، قال : يضوء ضُوءاً "[2] بضم الضاد وكسرها ، وقال الزمخشري : " وأضاء إمّا متعدٍ بمعنى : كلما نوّر لهم ممشىً ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإمّا غير متعدٍ بمعنى : كلما لَمَعَ

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 38/1 .
(2) معاني القرآن : 18/1 .

لهم (مشوا) في مطرح نوره ومُلقى ضوئه ، ويعضدهُ قراءةُ ابن أبي عبلة[1] : كلما ضاء لهم "[2] .

ضاء السراجُ يضوءُ ، وأضاء يضيءُ ، وضاء الشيءُ يضوءُ ضَوءاً وضُوءاً ، ويقال : ضاءت وأضاءت كلاهما بمعنىً[3] ، فإن كان (أضاء) متعدياً فالتقدير : كلما أضاء لهم البرقُ الطريقَ ، وعلى هذا يحتمل عود الضمير في (فيه) على المفعول المحذوف وهو (الطريق) ، ويحتمل أن يعود الضمير على (البرق) ، أي : مَشَوا في مطرح نوره ولمعانهِ ، شرط أن يكون الفعل (أضاء) لازماً ، أي : كلما لَمَعَ البرقُ مَشَوا في نوره[4] .

وذكر الآلوسي أنّ في مصحف ابن مسعود (ت32هـ) بدلاً من (مشوا فيه) مَضَوا فيه ، وفيه إشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم فهو سبحانه لم يأتِ بما يدلّ على السرعة ، وفي حذف مفعول (أضاء) إشارةٌ إلى أنّهم لفرط الحَيْرة كانوا يخبطون خبطَ عشواء ويمشون كلّ ممشىً [5] .

وتوسُّعُ المعنى في الآية الكريمة مستبانٌ من جانبين :

الأول : حمل الفعل (أضاء) على التعدي واللزوم .

والآخر : جواز عود الضمير في قوله تعالى : (فيه) على البرق وعلى الطريق والله أعلم .

---

(1) ينظر : شواذ القراءات : 54 ، ومعجم القراءات : 58/1 .

(2) الكشاف : 82/1 ، وينظر : التفسير الكبير : 88/2 .

(3) ينظر : لسان العرب (ضوأ) .

(4) ينظر : البحر المحيط : 228/1 ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 180/1 .

(5) ينظر : روح المعاني : 176/1 .

2- قال تعالى : ﭽ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □

□ □□ □ □□ □ □□ □ ﯼ ﯾ ﯾ □ □ﭼ البقرة: 282.

ذكر البيضاوي أن الفعل (يُضارَّ) يحتمل البناء للفاعل والبناء للمفعول[1] .

وأصل الكلمة (ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد) فأدغمت الراء في الراء وحرّكت إلى الفتح وموضعها جزمٌ ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ الحركات ، وقيل : (ولا يُضارَّ) أي : ولا يُضارَرْ على وجه ما لم يُسمَّ فاعلُهُ ، أي : ولا يضارِرْهما مَنْ استكتب هذا أو استشهد هذا ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنّ الخطاب من مبتدأ الآية إلى آخرها على وجه : افعلوا أو لا تفعلوا ، ولو كان الكاتبُ والشهيد هما المنهيينِ عن الضِّرارِ لقيل: وإن يفعلا فإنَّه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان وتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية ، أولى من توجيهِهِ إلى ما كان مُنعدلاً عنهُ[2] .

ويرى الزجاج أنَّ البناء للفاعل في (لا يُضارِرْ) أبين لقولهِ تعالى : (وإنْ تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم) ؛ لأنّ الفاسق أشبه بغير العدل وبمن حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد ، ودعا كاتباً ليكتب وهو مشغول فليس بفاسق ، ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرَّف الكتاب فاسقاً[3] .

وذهب الراغب الأصفهاني إلى جواز أنْ يكونَ مسنداً إلى الفاعل ، أي : لا يُضارِرْ . وأن يكون مسنداً إلى المفعول ، أي : لا يُضارَرْ بأن يُشغلَ عن صنعتِهِ ومعاشِهِ باستدعاء شهادتِهِ[4] .

---

(1) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 150/1 .

(2) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 113/5-118 .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : 366/1 ، وإعراب القرآن للنحاس : 347/1 ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : 423 .

(4) ينظر : المفردات في غريب القرآن (ضرَّ) : 297 ، ومعالم التنزيل : 352/1 ، ولسان العرب (ضرر) .

أمَّا الآلوسي فقد أنكر أنْ تحمل الصيغة على البناء للفاعل والمفعول فبعد أنْ ذكرهما قال : "وحمل بعضُهُم الصيغة على المعنيين وليس بشيءٍ كما لا يخفى"[1] .

والذي يبدو أن هذه الصيغة "تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدراً للإضرار ، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مَصدراً للإضرار ؛ لأنّ يضارَّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول ، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود ، لاحتمالها حكمين ، ليكون الكلام موجهاً فيُحمل على كلا معنييهِ لعدم تنافيهما ، وهذا من وجه الإعجاز "[2] ، ولو أراد معنىً واحداً منهما لفكَّ الإدغام كقوله تعالى : ﭽ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ےﭼ الأنفال : 13 ، إلا أنّهُ أدغم ليجمع المعنيين ، أمَّا القول بأنَّ بناء الفعل للفاعل أصوب فمردود ؛ لأنَّ القرآن الكريم لو أرادَ ذلك لفكَّ الإدغام وقال : ولا يضارِرْهما أحدٌ ، وليس هذا بعزيزٍ على التعبير بيْدَ أنّ الإيجاز في الصيغة وإرادة المعنيين هما المقصودان حقيقةً وهذا مظنة التوسع في المعنى إذ الأمران مرادان ههنا (اسم الفاعل واسم المفعول) والله اعلم .

3- قال تعالى : ﭽ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ سبأ : 14

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (تبينت) : "علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موتَهُ حينما وقع فلم يلبثوا حولاً في تسخيره إلى أن خرَّ ، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزهِ بدلٌ منه ، أي : ظهر أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب"[3] ذُكِر أنّ العصا لمّا أكلتها الدابة خرَّ سليمان

(1) روح المعاني : 61/3 .

(2) التحرير والتنوير : 117/3 ، وينظر : الجملة العربية والمعنى : 151 .

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 847/2 .

(عليه السلام) وكان الناس يرون أنّ الشياطين تعلم السرَّ فلما خرَّ تبين أمرُ الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب ولو علموهُ ما عَمِلوا بين يديه وهو ميّت[1] . فـ(تبينت) أي : ظهر أمرُها ، ويجوز أن يكون بمعنى : علمت وظهر لها العجز فكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب فحينما خرَّ زال الشكُ في أمرها كأنها أقرتْ بالعجز[2] .

بانَ الشيءُ يبينُ ومبين : اتَّضح ، والبيانُ : الكشف عن الشيء ، وفلانٌ أبينُ من فلانٍ ، أي : أفصحُ وأوضح كلاماً[3] . و(أنْ) وما بعدها في محل رفع والمعنى: تبيَّن وانكشف وظهر أمرُهُم ، وقد تكون (أن) في موضع النصب ، والمعنى : علمت وأيقنتِ الجنُ أن لو كانوا يعلمون[4] . فإن كان (تبيّن) بمعنى (بانَ) فكأنّه قال : افتُضِحت الجنُّ ، أي : للإنس ، وإن كان بمعنى (عَلِمَ) فالمعنى : تحقق جمهورهم والفعلةُ منهم والخدمة[5] . و"تبيَّن يأتي لازماً ومتعدياً ، فإذا جعلتَهُ لازماً فالتقدير : فلما خرَّ ظهر جهلُ الجنّ أن لو كانوا يعلمون ، ومحل (أن لو) رفعٌ بدلٌ من (الفاء)... وإذا جعلتَهُ متعدياً فالمعنى : علمت الجن و(أن لو) في محل نصب"[6] وهذا "موجودٌ في كلام العرب قال الشاعر[7] :

تبيَّن لي أنَّ القماءةَ ذلَّةٌ وأن أعزاءَ الرجالِ طيالُها

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء : 357/2 ، ومحاسن التأويل : 4944/14 .

(2) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : 355 .

(3) ينظر : مجمل اللغة (بين) : 141/1 ، والأفعال لابن القطاع : 99/1 .

(4) ينظر : الكشف والبيان : 81/8 ، ومعالم التنزيل : 392/6 .

(5) ينظر : المحرر الوجيز : 412/4 .

(6) غرائب التفسير وعجائب التأويل : 930/2 .

(7) هو أنيف بن زبان النبهاني الطائي ، والبيت في الكامل في اللغة والأدب : 79/1 ، وينظر : أوضح المسالك : 386/4 . والقماءة : الذلة والصغر ، ينظر : تاج العروس (قمأ) ، وطيالها : جمع طويل وأصله (طِوَال) ، ينظر : المنجد في اللغة (طال) : 476 .

... أي فتبيني ذلك ، أي : اعلميهِ"[1] قال ابن هشام الأنصاري تعليقاً على هذه الآية الكريمة : "إنَّ فيه حذف مضافين ، والمعنى : عَلِمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم ، وهذا معنى حسن إلا أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما والأولى أنَّ تبيَّن بمعنى وَضُحَ وأنْ وصلتها بدل اشتمال من الجنّ ، أي : وضح للناس أنّ الجنّ لو كانوا إلخ"[2] أما إن كان (تبين) بمعنى : عَلِمَ فالمراد بالجن ضعفاؤهم فهُم علموا أنّ رؤساءهم لو كانوا يعلمون الغيب كما توهموا وأوهموهم ذلك ما التبس عليهم الأمر ، أو المراد كبارهم وهم وإن كانوا عالمين قبل ذلك لكن أُريد التهكم بهم كقولك للمبطل إذا أدحضتَ حجتَهُ : هل تبينتَ أنك مبطلٌ ؟ وقد كان متبيناً[3] . "ولا حاجة على ما قُرر إلى اعتبار مضاف مقدر هو فاعل تبين في الحقيقة إلا أنه بعد حذفِهِ أقيم المضاف إليه مُقَامَهُ وأُسند إليه الفعل ، ثم جُعل (أن لو كانوا) إلخ بدلاً منهُ بدل كل من كل والأصل : تبين أمر الجن أن لو كانوا إلخ"[4] ووجه التوسع ظاهرٌ في الفعل (تبين) فهو بمعنى : عَلِمَ فيكون متعدياً ، وبمعنى : ظهر فيكون لازماً والله أعلم .

4- قال تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼالواقعة : 19 .

(1) البحر المحيط : 257/7 ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 167/9 ، وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 606/3 .
(2) مغني اللبيب : 210/2 .
(3) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 195/7 .
(4) روح المعاني : 122/22 .

ذكر البيضاوي للفعل (أنزفَ) في الآية الكريمة دلالتين : الأولى : لا تنزف عقولُهُم ، والأُخرى : لا ينفدُ شرابُهُم[1] . قال الفراء في تفسير قولِهِ تعالى : چ   ى ى يچالصافات : 47 : "وله – أي ينزفون – معنيان : يقال : قد أنزفَ الرجلُ : إذا فَنِيت خمرُهُ ، وأنزفَ : إذا ذهبَ عقلُهُ"[2] .

وقال الطبري (ت310هـ) في آية الصافات أيضاً : "العرب تقول : قد نُزِفَ الرجلُ فهو منزوفٌ : إذا ذهبَ عقلُهُ من السُّكر ، وأنزفَ فهو مُنْزِفٌ ، محكيةٌ عنهم اللغتان كلتاهما ، في ذهاب العقل من السكر ، وأمّا إذا فَنِيتْ خمرُ القوم فإني لم أسمع فيه إلا أنزف القومُ بالألف ومن الإنزاف بمعنى : ذهاب العقل من السكر قول الأُبَيْرد[3] .

لَعمري لئن أنزفتُمُ أو صحوتُمُ   لبئسَ النَّدامى كنتُمُ آل أبجرا "[4]

وتأويل الآية "لا ينالهم عن شربها ما ينال أهل الدنيا من الصُّداع ، (ولا ينزفون) لا يسكرون ، والنزيف السكران ، وإنما قيل له نزيف ومنزوف ؛ لأنّه نُزِف عقلُهُ"[5] والأصل في (نزف) : نفاد الشيء وانقطاعُهُ ، ومنه قولهم : أنزفوا ، أي : نَزَفَ ماءُ بئرهم ، وأنزفتُ الشيء أبلغ من نَزَفْتُهُ[6] ، بمعنى : أنّ أفعلَ أبلغ من فَعَل في في هذا السياق ، وليس معناهما متطابقاً ، وأما الجواليقي (ت540هـ) فهو يرى أنّ (أنزفَ ونزفَ) معناهما واحد[7] ، إلا أنّه أعطى الحكم العام في اللغة في كون (أفعل

---

(1) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1039/2 .
(2) معاني القرآن : 385/2 .
(3) البيت في الأغاني : 184/13 ، وينظر : لسان العرب (نزف) ، وتاج العروس (نزف) .
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 536/19–537 .
(5) معاني القرآن وإعرابه : 110/5 .
(6) ينظر : مقاييس اللغة (نزف) : 894 ، والمفردات في غريب القرآن : (نزف) : 490 .
(7) ينظر : ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : 71 .

وفعل) بمعنى واحدٍ ولم يقصد هذا النص القرآني . ومع كثرة ودوام الشرب فهم لا يسكرون ، وعدم السكر بنفاد الشراب ليس بعجبٍ لكنَّ عدم سكرِهِم مع أنَّهم مستديمون للشراب عجيبٌ[1] . وفي قولهِ تعالى : (لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون) نفى بالفعلين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقولهِ : (ولا ينزفون) عدم العقل، وذهاب المال ، ونفاد الشراب[2] . "والنفاد في الآية إمّا للعقل أو للشراب فإن نفاد الشراب مخلٌ بنشاط أهل المجلس"[3] ولا يخفى ما في الفعل (يُنزِفون) من الدلالة على التوسع في المعنى الذي اقتضاهُ هذا الفعل من عدم السكر بذهاب عقول المُنعمين خلافاً لخمر الدنيا التي تذهب بعقول شاربيها فضلاً عن عدم نفاد شرابِهِم مما يدلُّ على كمال التنعيم من كلّ جانبٍ ، ولو أُبدل هذا الفعل بأيِّ فعلٍ آخر لاختلَّ التركيب زيادةً على انتفاء معنى التوسع في هذا التعبير القرآني حينئذٍ[4] .

ثانياً : المصدر :

ومن أمثلة التوسع في المصادر :

1- قال تعالى : چـ ئـ ې ې ى ى ۆ ۆ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋچ النساء : 160 .

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى (كثيراً) : "ناساً كثيراً أو صدّاً كثيراً"[5]. فيحتمل أن يريد : صدَّهم في ذاتِهِم ، أي : لأنفسِهِم ، ويحتمل أن يريد : صدَّهم

---

(1) ينظر : التفسير الكبير : 153/29 .

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 766 ، والإتقان في علوم القرآن : 140/3 .

(3) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 343/4 .

(4) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 161/1 ، 928/2 .

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 251/1 .

لِغَيْرِهِم[1] ، ويحتمل وجهاً ثالثاً لم يُشر إليه البيضاوي وهو صدُّهُم : زماناً كثيراً[2] . ورجح السمين الحلبي أن يكون (كثيراً) مفعولاً به من بين هذه الأوجه ، قال : "أظهرنا : أنّه مفعولٌ بهِ ، أي : بصدِّهم ناساً أو فريقاً أو جمعاً كثيراً ، وقيل : نصبُهُ على المصدرية أي : صدَّاً كثيراً ، وقيل : على ظرفية الزمان ، أي : زماناً كثيراً ، والأول أوْلى ؛ لأنّ المصادر بعدها ناصبة لمفاعيلها ، فيجري البابُ على سننٍ واحدٍ"[3] "و(صدَّ) يجوز أن يكون قاصراً فيكون (كثيراً) صفة مصدر محذوف ، وأن يكون متعدياً فيكون مفعولاً به ، أي : وصدّهم كثيراً من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعوا مستلذات تلك المآكل بما منعوا أنفسَهم وغيرَهم من لذاذة الإيمان"[4] "يقال : صددتُ فلاناً عن أمرِهِ أصدُّهُ صدّاً . فصدَّ يصُدُّ ، يستوي فيه لفظ الواقع واللازم"[5] والأظهر أنّ أنّ هذهِ الأوجه مرادة جميعاً ، والتعبير القرآني استعمل المصدر (وبصدِّهم) من دون أن يحددَ فعلَهُ وذلك لإرادة التوسع في المعنى ، فإن كان الفعل لازماً كان (كثيراً) صفة لمصدر محذوف يحتمل أن يكون : صدّاً كثيراً أو زمناً كثيراً ، خلافاً لترجيح أن يكون (كثيراً) مفعولاً بهِ ، ويحتمل أن يكون الفعل متعدياً ، فيكون (كثيراً) حينئذٍ مفعولاً بهِ لـ(صدَّ) المتعدي ، أي : ناساً كثيراً ، ولا توجد قرينة داعية إلى تحديد وجه دون آخر ، والسياق القرآني مُحتملٌ هذه المعاني كلّها ، وعدم ذكر وجه من هذهِ الأوجه أثرى المعنى القرآني وأطلقهُ والله أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز : 135/2 ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 200/3 .

(2) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : 308/1 ، والبحر المحيط : 411/3 0

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 151/4 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 121/7 .

(4) نظم الدرر : 366/2 ، وينظر : فتح القدير : 845/1 .

(5) تاج العروس (صدد) .

2- قال تعالى : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﭼ المائدة : 12

قال البيضاوي بشأن قوله تعالى (قرضاً) في الآية الكريمة : "قرضاً : يحتمل المصدر والمفعول"[1] "وذلك قولك : اجتوَرُوا تجاوُراً ، وتجاوَرُوا اجْتواراً ؛ لأنَّ معنى : اجتَوروا وتجاوروا واحد ، ومثل ذلك : انكسَرَ كَسْراً ، وكُسِر انكساراً ؛ لأنّ معنى كُسِر وانكسر واحد ، وقال الله تبارك وتعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭼنوح : 17 ؛ لأنه إذا قال : أنبتَهُ فكأنّه قال : قد نَبَتَ ، وقال عزَّ وجلّ : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘﭼالمزمل : 8 ؛ لأنه إذا قال : تَبَتَّلْ فكأنّهُ قال : بَتِّلْ"[2] . فلو قيل: كيف يقال : (وأقرضتم اللهَ قرضاً حسناً) ولم يقل : إقراضاً حسناً ، مع أنّ مصدر (أقرض) الإقراض ؟ قيل : لو قال ذلك كان صواباً ، ولكنّ قولَه : (قرضاً حسناً) أخرج مصدراً من معناهُ لا مِنْ لفظه ففي قولِهِ : أقرض معنى (قرض) فكان معنى الكلام : وقرضتُم اللهَ قرضاً حسناً[3] .

"قال الفراء : ولو قال : وأقرضتم اللهَ إقراضاً حسناً لكان صواباً أيضاً إلاّ أنهُ قد يقام الاسم مقام المصدر ، ومثله قولُهُ : ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼآل عمران : 37 ، ولم يقل : بتقبلٍ ، وقولُهُ : ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﭼآل عمران: 37، ولم يقل : إنباتاً"[4] .

و"(قرضاً) يجوز أنْ يكونَ مصدراً محذوف الزوائد ، والعامل فيه أقرضتُم أي : إقراضاً ، ويجوز أن يكونَ القَرضُ بمعنى المُقْرض ، فيكون مفعولاً به"[5] . إذن

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 261/1 .

(2) الكتاب : 81/4 ، وينظر : الأصول في النحو : 134/3 ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: 456/4-457 .

(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 245/8 .

(4) التفسير الكبير : 190/11 . ولم أعثر على كلام الفراء في كتابه (معاني القرآن) .

(5) التبيان في إعراب القرآن : 320/1 .

(قرضاً) يحتمل أن يكون اسم مصدر على غرار (نباتاً) و(قبولٍ) ، ويحتمل المفعولية للفعل (قرضَ) وهو واضح ومستبانٌ بشكل جليّ .

واسم المصدر (قرضاً) منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه الفعل الظاهر كقوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ، أي : ونبتُّم ، وساغ إضمارُهُ ؛ لأنهم إذا أُنبتوا فقد نبتوا ، ولا يجوز أن ينصب بالظاهر وهو (أقرض) إذا أُريد به المصدرية؛ لأنّ الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه أو تبيين معناهُ ، وإذا كان المصدر مغايراً لمعنى الفعل الظاهر لم يحصل بذلك الغرض المقصود ؛ لأنّ (النبات) ليس بمعنى (الإنبات) وإذا لم يكن بمعناهُ فكيف يؤكدُهُ أو يبينُهُ ؟[1] .

"فإنّه جاء بالفعل ولم يأتِ بمصدرِهِ وهو الإقراض بل جاء بمصدر الفعل الثلاثي وهو القرض ، والقرض يحتمل معنيين : معنى الإقراض فيكون مفعولاً مطلقاً ويحتمل ما يقرض من المال فيكون مفعولاً به ، والمعنيان مرادان وهما الإقراض الحسن والمال الحسن"[2] . وهنا مكمن التوسع في التعبير القرآني في سياق هذه الآية الكريمة .

3- قال تعالى : ﭽ   ﯽ ﯽ ﯾ ﯾ ﭼ الكهف : 53

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (مصرفاً)في الآية الكريمة : "انصرافاً ، أو مكاناً ينصرفون إليه"[3] بمعنى : أنّ (مصرفاً) محتملٌ لأمرين : أحدهما : المصدرية (انصرافاً) ، والآخر : الظرفية المكانية (مُنْصَرَفاً) . ذكر سيبويهِ أنَّ : ما كانَ من فَعَل يَفْعِلُ ، فإنّ موضع الفعل (مَفْعِلٌ) نحو : هذا مَجْلِسُنا ، كأنّهم بنوهُ على يَفْعِلُ بكسر العين كما كسرت في يَفْعِل ، وبناء المصدر منه على مَفْعَلٍ نحو : إن في ألف درهمٍ لمَضْرباً ، وقد يجيء المَفْعِلُ يراد به الحينُ ، فإذا كان من فَعَل يَفْعِلُ بُني على مَفْعِلٍ فيُجعل الحينُ كالمكان نحو : أتت الناقةُ على مَنْتِجِها ، أي الحين الذي فيه النِّتاج ، وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بَنَوا المكان عليه إلا أنّ تفسير الباب وجملته على

(1) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 555 .

(2) الجملة العربية والمعنى : 152 .

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 609/2 .

القياس ، كالمرجِع في قوله تعالى: ﭽ ﯿ ﭼ الأنعام : 164، أي : رجوعُكُم[1] .
قال العكبري في قولِهِ تعالى : (مصرفاً) : "أي : انصرافاً ، ويجوز أن يكونَ مكاناً ، أي : لم يجدوا مكاناً ينصرفُ إليه عنها"[2] . وقد ردَّ السمين الحلبي على العكبري قائلاً : "وهذا سهوٌ فإنّه جعل المَفْعِل بكسر العين مصدراً لما مضارعُهُ يَفعِل بالكسر من الصحيح وقد نصّوا على أن اسم مصدر هذا النوع مفتوح العين ، واسم زمانِه ومكانِه مكسوراها نحو : المَضْرَب والمَضْرِب ، وقرأ زيدُ بن علي[3] ﴿﴾ (مَصْرَفاً) بفتح الراء جعله مصدراً ؛ لأنّه مكسور العين في المضارع فهو كالمَضْرَب ، بمعنى : الضرب ، وليت أبا البقاء ذكر هذه القراءة ووجهها بما ذكرَهُ قبلُ"[4] ويحتمل أن يكون (مصرفاً) اسم زمان[5]، وهذا الوجه أغفلهُ البيضاوي ولم يُشر إليه .

أما ذهاب العكبري ومن بعدِهِ البيضاوي إلى تأويل (مصرَفاً) بالمصدر ، فإنه وإن كان غيرَ مقيسٍ عند سيبويهِ ، إذ قياس ذلك عنده (المفعِل) بكسر العين كما المكان عنده كذلك نحو : المَجْلِس ، إلا أن بناء (المَفْعَل) بفتح العين واردٌ عن العرب مصدراً كما أنّ هذا البناء واردٌ عنهم مكاناً أيضاً ، أي : أنّ بناء (المَفْعِل) بكسر العين يعتقبان عليه (المصدر) و(المكان) وسبق أن أوردتُ كلامَهُ آنفاً في هذا الشأن وهو : ربما بنوا المصدر على المفعِل كما بنوا اسم المكان عليه ، وفي ضوء هذا الاستدلال فإنّ الباحث يوافق على هذا الكلام ويلتزمُهُ لأمرين :

(1) ينظر : الكتاب : 4/87–88 ، والأفعال لابن القطاع : 1/15 .
(2) التبيان في إعراب القرآن : 2/152 .
(3) ينظر : شواذ القراءات : 290 ، وأجازها أبو معاذ ، ينظر : البحر المحيط : 6/131 .
(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 7/510–511 ، وينظر : روح المعاني : 15/299 .
(5) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : 12/513 .

أولهما : ورود هذا البناء (المفعَل) بفتح العين عن العرب ولا يضير أن يكون الأصل والقياس هو الكسر، والآخر : أنّه معضدٌ باستعمال القرآن الكريم إياهُ المتمثل بقراءة جمهور السبعة ما عدا عاصماً (ت127هـ) لقولهِ تعالى : ﴿ ﴾ المجادلة : 11 ، إذ قرؤوها : (في المَجْلِسِ) بغير ألف[1] فقوله : (مَصْرِفاً) يحتمل معنى المصدرية وهو حدث الانصراف ، والمكان الذي يُنصرفُ إليه ، وزمان الانصراف أيضاً ، فجاءَ التعبير بـ(مَصْرِفاً) لتوسيع دائرة المعنى القرآني وإرادة هذه الصيغ الصرفية والمعاني المترتبة عليها جميعها وهذا قائمٌ على مستندٍ لغوي يسوّغ الأوجه المذكورة كلَّها .

4- قال تعالى : ﴿ ﴾ لقمان : 18

قال البيضاوي : "أي : فَرَحاً مصدر وقع موقع الحال ، أي : تمرح مرحاً ، أو لأجل المرح وهو البَطَر"[2] .

ذكر الأخفش الأوسط (ت 215هـ) في قولهِ تعالى : ﴿ ﴾ الإسراء : 37 ، أن القراءة[3] بكسر الراء أحسن ، فـ(تمشي مَرِحاً) أحسن من (تمشي مَرَحاً) عنده[4] . والمصدر إذا وقع موقع الحال ينوب عن اسم الفاعل كقولهم : قتلتُهُ صبراً ، أي : صابراً ، وجئتُهُ مشياً ، أي : ماشياً ، فالتقدير : أمشي مشياً ؛ لأنّ

(1) ينظر : السبعة في القراءات : 628 – 629 .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 819/2 .

(3) وهي قراءة يحيى بن يعمر ويعقوب . ينظر : مختصر في شواذ القراءات : 80 ، وشواذ القراءات : 281 .

(4) ينظر : معاني القرآن : 424/2 .

المجيء على حالات ، والمصدر دلَّ على فعلهِ من تلك الحال[1] . فـ(مَرَحاً ، ومَرِحاً) في الجودة سواء إلا أن المصدر (مَرَحاً) أوكد في الاستعمال ، تقول : جاء زيدٌ رِكْضاً أوكد مِنْ : جاء زيدٌ راكضاً ؛ لأنَّ ركضاً يدلُّ على توكيد الفعل[2] . ويحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له[3] . "أو على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ"[4] . "ومجيء المصدر حالاً كمجيئِهِ صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف ، وتأويله باسم الفاعل ، أي : لا تمشِ مارحاً ، أي : مشية المارح ، وهي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر ، ويجوز أن يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) ؛ لأنَّ للمشي أنواعاً ، منها : ما يدل على أنَّ صاحبَهُ ذو مرحٍ ، فإسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي[5] ، والمشي مرحاً أن يكون في المشي شدة وَطْءٍ على الأرض وتطاول في بدن الماشي"[6][7] .

فالتعبير بـ(مَرَحاً) أظهر المعاني الآتية :

أولاً : إن القراءة بكسر الراء من (مَرِحاً) بمعنى اسم الفاعل ، أي : لا تمشِ في الأرضِ مارحاً .

ثانياً : (مَرَحاً) أبلغ في التوكيد من (مارحٍ ، ومَرِحٍ) ؛ لأنه من قبيل الوصف بالمصدر .

---

(1) ينظر : المقتضب : 234/3 ، ومعاني النحو : 248/2 .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : 240/3 .

(3) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : 128/2 .

(4) البحر المحيط : 34/6 ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 354/7 .

(5) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : 40/1 .

(6) التحرير والتنوير : 103/15 .

(7) أغلب أهل التفاسير ورد تفسيرهم لـ(مرحاً) في آية سورة الإسراء .

ثالثاً : يحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له ، أي : لا تمشِ في الأرض لأجل المرح والبَطَر .

رابعاً : يجوز أنْ يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) .

خامساً : محتمل أن يكون على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ .

سادساً : المجيء بالمصدر حالاً يرادُ منه المبالغة في الوصف ، كأنَّ الذات هو عين الفعل ، أي : تحوَّل الماشي إلى المرح نفسه ، ولم يبقَ فيه شيءٌ من عنصر الذات .

وكل هذه المعاني مرادة ويحتملها السياق فهو من قبيل إيجاز اللفظ وتكثيف المعنى وهو توسعٌ ظاهر بما لا يخفى[1] .

ثالثاً : التضمين :

التضمين لغةً : هو كلُّ شيءٍ أُحْرِزَ أو جُعِل في وعاء شيءٍ آخر فقد ضُمِّنَهُ[2].

واصطلاحاً قال عنه ابن جني : "اعلم أنَّ الفعلَ إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيءَ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله – عزَّ اسمُهُ – : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ البقرة : 187 ، وأنت لا تقول : (رفثتُ إلى المرأة) وإنما تقول : (رفثتُ بها) ، أو

(1) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 216/1 ، 446/1 ، 612/2 ، 847/2 .

(2) ينظر : العين (ضمن) : 26/3 ، ومجمل اللغة (ضمن) : 566/2 .

(معها) ؛ لكنه لمَّا كان الرفثُ هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيتُ) بـ(إلى) كقولك : (أفضيتُ إلى المرأة) جئتَ بـ(إلى) مع الرفث ، إيذاناً وإشعاراً أنّهُ بمعناهُ"[1] .

ومنه قولُهُ تعالى : ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭼ الكهف : 28 ، يقال : عداهُ إذا جاوزهُ ، وعُدّي الفعل (عدا) بـ(عن) لتضمينِهِ معنى : نَبَا وعلا ، نحو : نَبَتْ عنه عينُهُ وعلتْ : إذا اقتحمتْهُ ولم تَعْلَقْ بهِ ، والغرض منه : إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحدٍ ، فمعنى الآية : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم[2] .

"والتضمين : إشراب اللفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤهُ حكمهُ لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين نحو : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﭼ النور : 63 ، أي : يخرجون"[3] فيُكْسَبُ بالتضمين معنيان : معنى الفعل الأول ، ومعنى الفعل الثاني[4]. ويعدُّ التضمينُ صورةً من صور الاتساع في المعنى ومن أمثلتِهِ عند البيضاوي :

1- قال تعالى : ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ التوبة : 104

قال البيضاوي : "إذا صحت – أي التوبة – وتعديتُهُ بـ(عن) لتضمنهِ معنى التجاوز "[5] . قال ابن عطية الأندلسي (ت546هـ) : "(عن عباده) هي بمعنى (مِنْ)، وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه ، تقول : لا صدقةَ إلا عن غنىً ومن غنىً ، وفَعَلَ فلانٌ ذلك من أشرِهِ وبطرِهِ وعن أشرِهِ وبطرِهِ"[6] ، بَيْدَ أنَّ (عن) تفيد البعد نحو : جَلَس فلان عن يمين الأمير ، أي : في ذلك الجانب مع البعد ، فالتائب صار

(1) الخصائص : 295/2 ، وينظر : معاني النحو : 11/3 .

(2) ينظر : الكشاف : 62/3-63 ، والجملة العربية والمعنى : 160-161 .

(3) حاشية الصبان : 145/2 .

(4) ينظر : معاني النحو : 12/3 .

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 421/1 .

(6) المحرر الوجيز : 79/3 ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 361/4 .

مُبعداً عن قبول التوبة بسبب ذلك الذنب فيحصل انكسار العبد الذي طردَه مولاهُ . فـ(عن) تنبه على أنه لا بُدَّ من حصول هذا المعنى للتائب[1] .

"والذي يظهر من موضوعِ عَنْ أَنها للمجاوزة ، فإن قلت : أخذتُ العلم عن زيدٍ ، فمعناهُ : أنه جاوز إليك ، وإذا قلت : من زيدٍ دلَّ على ابتداء الغاية ، وأنّه ابتداء أخذك إياهُ من زيد ، وعن أبلغ لظهور الانتقال معه ، ولا يظهر مع مِنْ ، وكأنّهم لما جاوزت توبتُهُم عنهم إلى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم"[2] .

ويبدو أنّ (مِنْ ، وعَنْ) ليستا متقاربتين ، فـ(مِنْ) للابتداء عموماً سواءٌ امتدّ الحدثُ أم لا ، وليس لابتداء الغاية ؛ لأنّ الغاية بمعنى النهاية والمدى ، نحو : اشتريتُ الكتاب من خالدٍ ، فـ(خالد) مبتدأ الشراء ، وهو ليس حدثاً ممتداً[3] . و(عن) للمجاوزة والبعد واستعمالُهُ مع الفعل (يقبل) وسَّعَ المعنى القرآني ؛ لأنّ (يقبل) يستعمل معه (مِنْ) ولكنّه عَدَلَ إلى (عن) للتضمين الذي أفضى إلى جمع معنيي القبول والمُجاوزة بأوجزِ عبارة ، وكلاهما معنيان مرادان . والله أعلم .

2– قال تعالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼالنور : 63

قال البيضاوي : "يخالفون أمرَهُ بترك مقتضاهُ ، ويذهبون سمتاً – نهجاً – خلاف سمتِهِ ، وعن لتضمنِهِ معنى الإعراض ، أو يصدون عن أمرِهِ دون المؤمنين، مِنْ (خالفَهُ عن الأمر) : إذا صدَّ عنه دونَهُ"[4] .

---

(1) ينظر : التفسير الكبير : 190/16 .

(2) البحر المحيط : 100/5 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 197/10 .

(3) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 263/4 ، ومعاني النحو : 65/3 .

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 133/2 .

وفي العربية أفعالٌ توصل بحروف الجر نحو : اخترتُ فلاناً من الرجال ، واستغفرُ اللهَ من ذلك ، وقد يحذف الحرف ويعمل الفعل كقول المتلمس[1] :

آليتَ حَبَّ العراقِ الدهرَ أطعمُهُ والحَبُّ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ

يريد : على حبِّ العراق ، ونحو : نُبِّئتُ زيداً يقولُ ذاك ، أي : عن زيدٍ ، وليست (عن ، وعلى) هنا بمنزلة الباء في قولهِ تعالى : چ □ □ □چالنساء:79 ، أي : ليستا بزائدتين ؛ لأنَّ (عن ، وعلى) لا يفعل بهما ذلك[2] .

إلاَّ أنَّ أبا عبيدة يرى أنّ (عن) في هذه الآية زائدة[3] ، وتابعهُ الأخفش الأوسط في زيادتها ، أي : فليحذر الذين يخالفونَ أمرَهُ[4] . "وعن في موضعها غير زائدة"[5] ، "والزيادة خلاف الأصل"[6] . فَعُدِّيَ (يخالفون) بـ(عن) لما في المخالفة من معنى التباعد ، وهو أبلغ من أنْ يتعدى بنفسِهِ نحو : خالف زيداً عن الأمر ، أي: صدَّهُ عنه ، والمفعول هنا محذوف ، أي : يخالفون المؤمنين ، ويصدونهم عن أمرِهِ، والمراد من حذف المفعول تقبيح حال المخالِف ، وتعظيم أمر المخالَف عنه فذَكَر الأهم ، وترك ما لا اهتمامَ بهِ[7] . وبهذا اتسع معنى التعبير بكسبِ الفعلين (خالف ، وصدَّ) فهو خالف خالف الأمرَ بنفسِهِ ، وصدَّ عنهُ غيرَهُ فأوجز في العبارة وتوسَّع في المعنى .

---

(1) البيت في الأغاني : 233/24 ، وينظر : الجمل في النحو : 96 ، والمخصص : 244/4 ، السوسُ : الدود ، ينظر : لسان العرب (سوس) .

(2) ينظر : الكتاب : 38/1 ، ومعاني القرآن للنحاس : 820/2 .

(3) ينظر : مجاز القرآن : 69/2 .

(4) ينظر : النكت والعيون : 129/4 ، ولم أقف على ما عُزي ههنا إلى الأخفش في كتابه (معاني القرآن) .

(5) معاني القرآن للنحاس : 820/2 .

(6) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 450/8 .

(7) ينظر : روح المعاني : 226/18 .

3- قال تعالى : ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﭼالصافات : 8

قال البيضاوي عن علة تعدية (سَمِعَ) بـ(إلى) : "وتعدية السماع بإلى لتضمنِهِ معنى الإصغاء مبالغةً لنفيهِ وتهويلاً لما يمنعهم عنه"[(1)] . وقرئ[(2)] : (يَسْمعون) بتخفيف السين ، والأصل في (يسَّمَّعون) يتسمعون ، بمعنى : لا يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين[(3)] . والتسمع طلب السماع ، والمتعدي بنفسهِ يفيد الإدراك والمتعدي بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك[(4)] . وضُمّن (سَمِعَ) معنى انتهى ، أو أصغى ، ومعنى الكلام : لا ينتهي سمعُهُم أو تسمُّعُهم أو إصغاؤهم إلى الملأ[(5)] .

والقراءة بالتشديد أبلغ في نفي الاستماع ؛ لأنّه إذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ منهم السماع نفى عنهم السماع بأولوية ، والتسمّع طلب السماع ، يقال : تسَّمَّع فسَمِعَ أو فلم يسمع ، وتسمَّع لا يتعدى إلا بـ (إلى) ، ويقال : سمعتُ فلاناً يُحدّثُ وسمعتُ حديثَهُ والمخفف يتعدى بـ(إلى) ، فإن قلت : ما الفرق بين : سمعتُ فلاناً يتحدّثُ ، وسمعتُ إليه يتحدّث ، وسَمِعتُ حديثَهُ وإلى حديثِهِ ؟ والجواب : إنّ المعدّى بنفسِهِ يفيد الإدراك ، والمعدّى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك فالآية سواء قرئت بالتشديد أو التخفيف أبلغ في نفي السماع من قوله تعالى : ﭽﯙ ﯚ ﭿ ﮀﭼ الشعراء : 212 ؛ لأنها على التقديرين تدلُّ على كونهم ممنوعين عن الإصغاء وهو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع أولى ، وفيها تهويل عظيم لما يمنعهم عنهُ[(6)] . "وحاصلُهُ : أنّه

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 878/2 .

(2) حمزة والكسائي وعاصم بالتشديد ، والباقون بالتخفيف ، ينظر : الحجة للقراء السبعة : 52/6 ، وحجة القراءات : 605 .

(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 498/19-499 .

(4) ينظر : الكشاف : 670/3-671 ، والبحر المحيط : 338/7 ، ومُغني اللبيب : 341/2 .

(5) ينظر : نظم الدرر : 196/16 .

(6) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 50/4 ، وروح المعاني : 69/23-70.

ليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنّوهُ ؛ لأنَّه لما تعدى بإلى وتضمّن معنى الإصغاء صار المعنى : حفظناها من شياطين لا تنصت لما فيها إنصاتاً تاماً تضبط به ما تقولُهُ الملائكة ، ومآلُهُ : حفظناها من شياطينَ مسترقةٍ للسمع"[1] والتضمين يشير إلى : "معنى ينتهون فيسمعون ، أي : لا يتركهم الرمي بالشهب منتهين إلى الملأ الأعلى انتهاء الطالب المكان المطلوب ... وذلك أبعد لهم من أن يسمعوا ؛ لأنهم لا ينتهون فلا يسمعون"[2].

ولا يخفى ما في التضمين من الجمع بين هذه المعاني القرآنية ، فالفعل (سَمِعَ) يتعدى بنفسِهِ ، إلا أنّه عُدِّي بـ(إلى) لإرادة معنى الإصغاء والانتهاء إلى جانب معنى المبالغة في التسمع وهذا من بديع الإيجاز ، وكل هذه المعاني مرادة مقصودة في سياقها والتوسع واضحةٌ ملامحُهُ في هذا التعبير البليغ والله أعلم .

4- قال تعالى : چﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞچالمطففين : 2

قال البيضاوي : "أي : إذا اكتالوا من الناس حقوقَهم يأخذونها وافيةً ، وإنما أبدل (على) بـ (مِنْ) للدلالة على أنّ اكتيالهم لِمَا لهم على الناس ، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم"[3] .

قال الفراء في المعاقبة بين (على ومِنْ) : "يريد : اكتالوا من الناس ، وهما تعتقبان : على ومِنْ في هذا الموضع ؛ لأنّه حقٌّ عليه ، فإذا قال : اكتلتُ عليك ، فكأنّه قال : أخذتُ ما عليك ، وإذا قال : اكتلتُ منك ، فهو كقولك : استوفيتُ منك"[4]

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 261/7 .

(2) التحرير والتنوير : 92/23 .

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1139/2 .

منك"[1] إلا أنّ الحرف (على) قد يستعمل في الأفعال الشاقّة المستثقلة نحو : قد سِرنا عشراً وبَقِيت علينا ليلتان ، وقد حفظتُ القرآنَ وبقيتْ عليَّ منه سورتان ، وقد صُمنا عشرين من الشهر وبقي علينا عشر[2] . وأحسبُ أنّ عبارة البيضاوي (وإنّما أبدل على بمِنْ) غير صحيحة ، والصحيح أن يقال : أُبدل مِنْ بـ(على) ؛ لأنّ ما بعد (أبدل) هو المتروك[3] . وقال المرادي (ت749هـ) في مجيء (على) بمعنى (مِنْ) في هذه الآية : "قالَهُ بعض النحويين ، والبصريون يذهبون في هذا إلى التضمين ، أي : إذا حكموا على الناس في الكيل"[4] و(بعض النحويين) يريد بهم : الكوفيين . و"الاكتيال أخذ الحقّ من الغير بالكيل كما أن الاتّزان أخذه منه بالوزن فهما أخذ الحقّ لنفسِهِ ، والكيل والوزن إعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحقُّ الاكتيال أن يتعدى بكلمة مِنْ حيث يقال : كِلتُ من فلان ، ولا يقال : كِلتُ على فلان إلا أنّ كلمة (على) أُقيمت في الآية مقامَ (مِنْ) لوجهين : الأول : الدلالة على أنّ المأخوذ الحق الثابت له على الناس فإنه إذا قيل : اكتلتُ منه لا يفهم منه إلا أنه أخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه أو لا ؟ والثاني : الدلالة على أن اكتيالهم اكتيال فيه إضرار لهم وتحامل عليهم فإن كلمة (على) تدل على الإضرار والظلم يقال : تحامل عليه ، أي :

(1) معاني القرآن : 246/3 ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 186/24 ، وحروف المعاني للزجاجي : 23 .

(2) ينظر : الخصائص : 263/2 .

(3) ينظر : لسان العرب (بدل) .

(4) الجنى الداني في حروف المعاني : 478 .

ظلمه ، فقولهم : اكتال عليه يفهم منه أنه أَخَذَ منه أخذاً متضمناً للتحامل عليه والوجه الأول أظهر "[1] .

أما المعاقبة بين (على ، ومن) فغير مرادة ؛ لأن (اكتال) عدّي بـ(على) لتضمينِهِ معنى التحامل ، أي : إلقاء المشقة على الغير وظلمِهِ . وشأن التاجر طلبهُ توفير الربح وأنه مظنّة السَّعة ووجود المال بيدِهِ[2] . فيكون الاكتيال مُتحاملاً فيه على الناس مما يؤدي إلى المشقة والاستثقال عليهم في المكيل ، وهو ما يدلُّ عليه الحرف (على) الدال على فعل المشقة والثقل كقولهِ تعالى : ﴿ ٿ ٿ ٹ ٹ ﭬ﴾ المزمل : 5 ، وكل هذا لا يُلحظ في السياق إذا ما استُعمل الحرف (مِنْ) مع الفعل (اكتال) ، فالتضمين أكسب الآية معنيين : معنى اكتال منه ، ومعنى تحامل عليه وهما معنيان مرادان مقصودان ههنا ، وهما مناط التوسع في المعنى والله أعلم[3] .

---

(1) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 537/4 ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 335/8 .

(2) ينظر : التحرير والتنوير : 190/30 .

(3) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 115/1 ، 352/1 ، 1086/2 ، 1099/2 .

المبحث الثاني
التعلُّق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير

أولاً : التعلق :

هو عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدلُّ عليه الفعل أو ما يشبه الفعل – اسم الفاعل واسم المفعول وسائر المشتقات – وعلى هذا يكون الظرف والجارّ والمجرور الواقعان بعد المبتدأ متعلقين بمحذوفٍ خبر وليسا هما الخبر نحو : زيدٌ في البيت ، أو زيدٌ أمامَ البيت ، أي : زيدٌ (كائنٌ أو مستقرٌ أو كان أو استقر) في البيت أو أمام البيت[1] .

"ويكون التعلق بما فيه صحة المعنى ... كقوله تعالى : ﭽ □ □ □ □ □ □ ﭼ إبراهيم : 18 ، فـ(على شيء) مرتبط بـ(يقدرون) لا بـ(كسبوا) ؛ لأنَّ المعنى يكون على هذا : (كسبوا على شيء) وهو فاسد ، وإنما المعنى : لا يقدرون على شيء"[2] .

ومن أمثلة التعلق في مضمار التوسع في المعنى :

1- قال تعالى : ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البقرة : 109

جوَّز البيضاوي أن يتعلق الجارّ ومجرورُهُ (من عند أنفسهم) بـ(ودَّ) ، أي : تمنّوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم ، ويجوز أن يتعلق بـ(حسداً) ، أي : حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم[3] .

---

(1) ينظر : التطبيق النحوي : 356 .

(2) معاني النحو : 3/98–99 .

(3) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1/87 .

غير أنَّ الزجاج أنكر أن يتعلق (من عند أنفسهم) بـ(حسداً) لأن حسدَ الإنسانِ لا يكونُ إلا من عند نفسِهِ[1] .

وليس الأمر كما ذكر بل هو على التأكيد ، قال ابن عطية الأندلسي : "واختُلف في تعلق قوله : (من عند أنفسهم) فقيل : يتعلق بـ(ودَّ) ؛ لأنّه بمعنى ودُّوا، وقيل : يتعلق بقوله : (حسداً) فالوقف على قولهِ : (كفاراً) ، والمعنى على هذين القولين : أنّهم لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أُمروا به فهو من تلقائهم ، ولفظة الحسد تعطي هذا ، فجاء من عند أنفسِهِم تأكيداً وإلزاماً ، كما قال تعالى : ﭽ ﭻ ﭼﭽآل عمران : 167 ، وﭽ ﭫ ﭬ ﭭﭽالبقرة : 79 ، ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﭽالأنعام : 38 "[2] .

وأغفل البيضاوي وجهاً ثالثاً في تعلق الجار وهو "أنّه متعلق بيردُّونكم ، و(مِنْ) للسببية ، أي : يكون الردُّ من تلقائهم وجهتِهِم وبإغوائِهِم"[3] .

قال ابن عاشور : "وقوله : (من عند أنفسهم) جيء فيه بِمنْ الابتدائية للإشارة إلى تأصّل هذا الحسد فيهم وصدوره عن نفوسهم ، وأُكِّد ذلك بكلمة (عند) الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه ، وهو متعلق بـ(حسداً) لا بقولهِ : (ودَّ) "[4] . ويكاد يجمع المفسرون على تعلقِهِ بـ(ودَّ) ، وهو مرادٌ من حيث المعنى علاوةً على المعنيين الآخرين ، فأدَّى تعدد احتمالات التعلق إلى الاتساع في تعدد أوجه المعاني ، وهي مرادة مطلوبة يحتملها السياق من غير ضعفٍ ينتابُهُ .

2- قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭽ طه : 13

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : 193/1 ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : 170/1 .

(2) المحرر الوجيز : 196/1 ، وينظر : البحر المحيط : 518/1 .

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 68/2 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 391/2 .

(4) التحرير والتنوير : 670/1 .

ذكر البيضاوي أنَّ : اللام تحتمل التعلق بـ(اخترتك) ، وتحتمل التعلق بـ(استمع) [1] . وأجاز الزمخشري من قبلِهِ تعلق اللام بكلا الفعلين[2] ، ورفض أبو حيان الأندلسي تعلّق اللاّم بـ(اخترتُك) رادّاً بذلك على الزمخشري ؛ إذ قال : "ولا يجوز التعليق باخترتك ؛ لأنّه من باب الإعمال فيجب أو يختار إعادة الضمير مع الثاني فكأن يكون فاستمعْ له لما يُوحى ، فَدَلَّ على أنّه من إعمال الثاني"[3] وانتصف السمين الحلبي للزمخشري وذكر أنّه : لم يعنِ أن تكون المسألة من باب التنازع بين الفعلين كأنّهُ قيل : اخترتُك لما يوحى ، فاستمع لما يوحى ، وإنما عنى التعليق المعنويَّ من حيث الصلاحيةُ ، وأمَّا تقدير الصناعة فلم يَعْنِهِ[4] . و(ما) في قوله تعالى : (لما يوحى) تحتمل أن تكونَ مصدريةً ، أي : فاستمع للوحي ، وتحتمل أن تكون موصولةً بمعنى : الذي ، أي : فاستمع للذي يوحى[5] . ويرى الشيخ زاده أنّ: اللام متعلقة بـ(استمع) فقط ، قال : "والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة في المفعول كما في : چ و وچ النمل : 72 "[6] وقالَ الشهابُ الخفاجي : "وقوله : واللام إلخ ، أي : إن لم تكن زائدة كما في چ و وچ كما قيل ، وتعلقه بكلٍّ منهما، أي : على البدل لا على أنه من التنازع كما فهمهُ أبو حيان حتى يردَّ بأنَّه : لا يجوز تعليقُهُ باخترتك ؛ لأنه يجب إعادة الضمير مع الثاني فيقال : فاستمع له لما يوحى فيجاب عنه بأنه أراد التعليق المعنوي من حيث الصلاحية ، ومرادُهُ ما قدّمناهُ وعبارتُهُ تحتملُهُ لا تأباهُ كما توهَّمَ"[7]

(1) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 640/2 .
(2) ينظر : الكشاف : 137/3 .
(3) البحر المحيط : 217/6 .
(4) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 18/8 .
(5) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : 193/13 .
(6) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 310/3 .
(7) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 193/6 .

وعليه يكون تعلق اللام بـ(اخترتك) أي : اخترتُك للوحي : وللذي يوحى ، وبـ(استمع) أي : استمع للوحي وللذي يوحى ، وهذا مما يفضي إلى ثراء العبارة القرآنية وتوسعها باحتمالها للمعنيين كليهما .

3- قـال تعـالى : ﭽ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦﭼ طه : 39

ذكر البيضاوي احتمالين في تعلق الجارّ والمجرور (منّي) فقال : "أي : محبةً كائنةً مني قد زرعتُها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أَحَبك فرعون ، ويجوز أن يتعلق (مني) بألقيت أي : أحببتُكَ ومن أحبّهُ اللهُ أحبّتْهُ القلوبُ"[1] .

فإن عُلِّق الجار والمجرور (مني) بـ(ألقيتُ) فاللهُ سبحانه هو الذي أحبّهُ ، ويحتمل أنّه متعلق بمحذوف هو صفة لـِ(محبة) أي : محبةً حاصلةً أو واقعةً مني زرعتُها أنا في القلوب لذلك أحبك فرعونُ وكل مَنْ أبصرك[2] .

ورجَّح فَخرُ الدين الرازي الاحتمال الأول ؛ لأنّ "الثاني يُحْوِجُ إلى الإضمار وهو أنْ يقال : وألقيتُ عليك محبةً حاصلةً مني وواقعةً بتخليقي وعلى التقدير الأول لا حاجةَ إلى هذا الإضمار"[3] .

والذي يبدو أنَّ في الإضمار معنى التنكير فـ"مِنْ متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة ؛ لما في تنكيرها من الفخامة الإضافية ، أي : محبةً عظيمةً كائنةً مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبّك عدوُّ الله وآلُهُ"[4]

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 643/2 .

(2) ينظر : الكشاف : 145/3 ، والتبيان في إعراب القرآن : 183/2 .

(3) التفسير الكبير : 53/22 .

وآلُهُ"[1] . والمحبة من الله دالَّة "على أنها محبةٌ خارقةٌ للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية من الإلْفِ والانتفاع ، ألا ترى قول امرأة فرعون : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ القصص : 9 ، مع قولها : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ فكان قرة عينٍ لها قبل أن ينفعها وقبل اتخاذِهِ ولداً"[2] . ولا تخفى دلالةُ الإضمار على فخامة المحبّة في تنكير المحذوف إلى جانب المعنى الأول وهو توسعٌ في المعنى ظاهر .

4- قال تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ غافر : 28

ذكر البيضاوي : أن الرجل من أقارب فرعون ، وقيل : من آل فرعون متعلق بـ(يكتم إيمانه) ، والرجل غريب موحّد كان ينافقهم[3] . فـ"يجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ يكتم إيمانَهُ من آل فرعون ، على التقديم والتأخير ، ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانَهُ"[4] ، قال أبو حيان الأندلسي : "وجُعل (آل فرعون) متعلقاً بقوله : (يكتم إيمانَهُ) لا في موضع الصفة لِـ(رجل) كما يدلُّ عليه الظاهر ، وهذا فيه بُعدٌ ؛ إذ لم يكن لأحد من بني إسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلَّم به هذا الرجل ، وقد ردَّ قولُ مَنْ علَّق (من آل فرعون) بـِ(يكتم) فإنه لا يقال : كتمتُ من فلانٍ كذا ، إنما يقال : كتمتُ فلاناً كذا ، قال تعالى : ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ النساء : 42 "[5] وهذا مردودٌ ؛ لأن بعض أهل اللغة جوَّز زيادة (مِنْ) في المفعول الأول ، قال أحمد بن محمد الفيومي (ت770هـ) : "كتمتُ زيداً الحديثَ كتماً ،

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 15/6 ، وينظر : روح المعاني : 189/16 .

(2) التحرير والتنوير : 217/16 .

(3) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 926/2 .

(4) معاني القرآن للنحاس : 1096/2 .

(5) البحر المحيط : 441/7 ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : 771 ، واللباب في علوم الكتاب : 39/17 .

من باب قتل ، وكِتماناً بالكسر يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز زيادة مِنْ في المفعول الأول ، فيقال : كتمتُ من زيدٍ الحديثَ ، مثل : بعتُهُ الدارَ ، وبعتُ منه الدارَ ، ومنه عند بعضهم :ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﭼ وهو على التقديم والتأخير ، والأصل : يكتم من آل فرعون إيمانَهُ"[1] "ووجهُ تقديمِهِ هنا : التخصيص ؛ لأنّه إنّما كتم إيمانه عن آل فرعون دون موسى ومن اتبعَهُ"[2] فلا حجة لمن منع تعدية الفعل (يكتمُ) بـ(مِنْ) الأمر الذي يؤدي إلى إرادة المعنيين "فإن علقتَ (من آل فرعون) بمحذوف كان المعنى : أنّ الرجل من آل فرعون ، وإن علقتها بـ(يكتم) كان المعنى : أنّه يكتم إيمانَهُ من آل فرعون ولا يدل على أنّه منهم"[3] وكلا المعنيين مرادان وسياق الآية يدعو إليهما ويحتملهما والله سبحانَه أعلم .

ثانياً : تعدد أوجه الإعراب :

قد يُتوسع في إعراب اللفظ وذلك باحتماله أكثر من وجه إعرابي ومن الأمثلة التي وردت في تفسير البيضاوي :

1- قال تعالى : ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ البقرة : 35

القربُ من الشيء يورث ميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيهِ عمّا هو مقتضى العقل فينبغي أن لا يحوما حول ما حرّم الله مخافةَ أن يقعا فيه ، وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين ، فإنَّ الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي أو الجواب له[4] .

---

(1) المصباح المنير (كتم) : 271 ، وينظر : روح المعاني : 64/24 .

(2) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 368/7 .

(3) الجملة العربية والمعنى : 202 .

(4) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 58/1-59 .

فيجوز أنْ يكون (فتكونا) جواباً نصباً ، ويجوز عطفُهُ على أول الكلام فيكون جزماً ، ومعنى الجزم : تكرير النهي نحو : لا تذهبْ ولا تعرضْ لأحدٍ ، ومعنى الجواب والنصب : لا تفعل هذا فيُفعلَ بك مجازاةً ، فلما عُطِفَ حرفُ الفاء على الواو وكان في أوّله حادثٌ لا يصلحُ في الثاني نُصِب[1] .

فما كانَ جواباً منصوباً بالفاء فهو على إضمار (أنْ) [2] . "ولو جزمَهُ على العطف كان جائزاً"[3] .

ولِـ(فتكونا) وجهان من التأويل : "أحدُهما : أن يكون (فتكونا) في نية العطف على قولهِ : (ولا تقربا) فيكونَ تأويلُهُ حينئذٍ : ولا تقربا هذه الشجرة ، ولا تكونا من الظالمين ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في معنى الجزم مجزوماً بما جُزم به (ولا تقربا) ، كما يقول القائل : لا تكلِّمْ عَمراً ولا تُؤْذِهِ ... والثاني : أن يكون (فتكونا من الظالمين) بمعنى جواب النهي ، فيكون تأويلُهُ حينئذٍ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنّكما إنْ قربتُماها كنتما من الظالمين ، كما تقول : لا تشتمْ زيداً فيشتُمَكَ مجازاةً ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في موضع نصب إذ كان حرفاً عُطِف على غير شكلِهِ ، لمّا كان في (ولا تقربا) حرف عاملٌ فيه لا يصلحُ إعادتُهُ في (فتكونا) فنُصب"[4] .

ويرى أبو حيان الأندلسي أنّ المنصوب على الجواب أظهر ؛ وذلك لظهور السببية ، أمّا العطف فلا يدلُّ عليها[5] . ويبدو أنَّ الفاء العاطفة تفيد السببية في

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء : 26/1-27 .
(2) ينظر : معاني القرآن للأخفش : 65/1 .
(3) المصدر نفسه : 67/1 .
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 558/1 .
(5) ينظر : البحر المحيط : 310/1 .

الغالب كقوله تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ القصص : 15 ، وقولِهِ : ﭽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ﭼ البقرة : 37 [1] .

أمَّا العطف بالجزم في الآية فالسببية ظاهرة معه وفاقاً للبيضاوي ، فإذا كان ما بعد الفاء "مجزوماً كان داخلاً في النهي فيكون قد نهى عن الظلم ، كما نهى عن قربان الشجرة ؛ فكأنه قال : لا تقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين"[2] . فهما ما كانا من الظالمين بسبب النهي عن قرب الشجرة . والفعل (فتكونا) يحتمل النصب على الجواب ، ويحتمل العطف على الجزم وكلا المعنيين مرادان ، فأدَّى التوسعُ إلى ثراء النص القرآني على وفق ما مرَّ ذكرُهُ .

2- قال تعالى : ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﭼ الرعد:2

" (ترونها) صفة لعَمَدٍ ، أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك"[3] .

"يقال : إنّ الله عجّب الخلق من خلق السموات في الهواء من غير أساس وأعمدة ، وبناؤهم لا يثبت إلا بهما ، فقال : خلقتهما من غير حاجة إلى الأعمدة ليعتبر الخلق ، ويعرفوا قدرته . وقال آخر : بغير عَمَدٍ ترونها ، أي : لها عَمَدٌ لا ترونها"[4] .

فهي مرفوعة بلا عَمَدٍ ترونها ، والرؤية لا تحتاج إلى خبر ، وقد تكون مرفوعة بعَمَدٍ لا ترون تلك العمد ، والعرب قد تقدم الحجة من آخر الكلمة إلى أولها[5] .

---

(1) ينظر : مغني اللبيب : 182/1 ، ومعاني النحو : 205/3 .
(2) البرهان في علوم القرآن : 1008 .
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 502/1 .
(4) العين (عَمَدَ) : 228/3 .
(5) ينظر : معاني القرآن للفراء : 57/2 .

فإن كانت بغيرِ عمدٍ ، فالمعنى : بغير عمدٍ وأنتم ترونها ، وإن كانت بعمدٍ فـ(ترونها) نعت للعمد ، والمعنى : بغير عمدٍ مرئية[1] . وتحتمل الآية وجهاً ثالثاً ذَكَرَهُ أبو جعفر النحاس وهو أن تكون جملة (ترونها) في موضع نصب على الحال، أي : رفع السموات مرئيةً بغير عمدٍ[2] . ووافقَهُ مكي القيسي (ت437هـ) في هذا المعنى[3] . في حين ذهب البغوي (ت516هـ) مذهباً خالف فيه المتقدمين ؛ إذ قال: "ومعناهُ نفي العمد أصلاً ، وهو الأصحّ"[4] وتابعَهُ ابن عطية الأندلسي[5] ، وابن الجوزي أيضاً[6] ، ، ويبدو أن هذه الأوجه كلّها مرادةٌ ، أي : "يحتمل أنه خلقها مرفوعة بغير عمدٍ ، ويحتمل أنه خلقها مرفوعة بعمدٍ غير مرئية فيحتمل نفي العمد وإثباتها فتكون جملة (ترونها) على إثبات العمد صفةً ، وعلى نفي العمد استئنافيةً ، ويكون المعنى : أنها مرفوعة بغيرِ عمدٍ وها أنتم ترونها"[7] .

"ونحوهُ قولك : (ما تأتينا فتحدثُنا) برفع (تحدثُنا) فهذا يحتمل نفي التحديث ، أي : ما تأتينا فما تحدثنا والفاء عاطفة ، ويحتمل إثبات التحديث فيكون المعنى : أنت ما تأتينا ولكنك تحدثُنا فتكون الفاء استئنافية ، فالتحديث منفي على تقدير ومثبت على تقدير آخر"[8] وتحتمل جملة (ترونها) أن تكون حالية ، أي : خلقها مرئيةً بغير عمدٍ، والمعنى : هذهِ حالُها منذ أنْ خلقها الله مرئيةً بغير عمدٍ قبل خلقِكم ، وهذه الأوجه مرادة جميعاً وهو توسع في المعنى بما لا يخفى والله أعلم .

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : 136/3 .
(2) ينظر : إعراب القرآن : 349/2 .
(3) ينظر : مشكل إعراب القرآن : 255 .
(4) معالم التنزيل : 292/4 .
(5) ينظر : المحرر الوجيز : 291/3 .
(6) ينظر : زاد المسير : 301/4 .
(7) الجملة العربية والمعنى : 81 .
(8) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

3- قـال تعـالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الكهف : 39

قـال البيضـاوي : "يحتمـل أن يكـون أنـا فصــلاً ، وأن يكـونَ تأكيـداً للمفعـول الأول"[1] .

جاء في (الكتاب) : "وأمّا قولُهُ عزَّ وجلَّ :ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ فقد تكون أنا فصلاً وصفةً "[2] .

قـال السيرافي (ت368هـ) : "فإنمـا جـاز فـي أنـا الصـفة والفصـل ؛ لأنّ النـون والياء في ترني ضميرٌ ، وقد يوصفُ الضمير بالضمير ويؤكَّد"[3] .

فالضمير (أنا) ضمير فصل لا محل لـه من الإعراب ، ويجوز أن يكون تأكيداً للمفعول في (ترني) نحو : ضربتُك أنت ، وضربتني أنا[4] .

و(ترني) يجوز "أن تكون بَصَرِيَّةً وأنا توكيد للضمير في ترني المنصوب فيكون (أقلَّ) حالاً"[5] . وذهب السمين الحلبي إلى ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي ههنا في جعل (أنـا) توكيداً لا ضَمير فصلٍ فـي حـال جعل (رأى) بَصَريّة ؛ لأنّ شرط ضـمير الفصل أن يقع بين مبتدأ وخبر أو ما أصلُهُ المبتدأ والخبر[6] .

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 606/2 .

(2) الكتاب : 392/2 .

(3) شرح كتاب سيبويه : 160/3 .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : 661/1 .

(5) البحر المحيط : 123/6 .

(6) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 495/7 .

و(ترنـي) إن كانـت عِلْميَّـةً (قلبيّـة) فأقـلَّ مفعـول ثـانٍ ، وحينئـذٍ يحتمـل (أنـا) الوجهين ، أي : الفصل والتوكيد[1] .

وكِـلا الإعـرابين يفضـيان إلـى إرادة المعنيـين : فيحتمـل أن يكـون (أنـا) ضـمير فصل أفادَ الحصر[2] ، أي : أنا أقلَّ منك مالاً وولداً دون غيري ، ويحتمل أن يكون توكيداً لضمير المتكلم (النون والياء) في قولـهِ : (ترني) والمعنيان مقصودان إن جعلت الرؤية في (ترني) عِلْميةً لا بَصَريةً .

4- قال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘﭼ الأنبياء: 79

ذكر البيضاوي أنّ (والطيرَ) يحتمل أن يكونَ معطوفاً على الجبال ، ويحتمل أنْ يكونَ مفعولاً معهُ[3] .

فالبيضاوي يُجوز العطف والمعيّة ، أي : "معطوف علـى الجبـال ، ويجـوز أنْ يكون بمعنى مع الطير كما تقول : التقى الماءُ والخشبةَ"[4] . أي : جعلُهُ مفعولاً معَهُ. "فإن قلت : لم قدِّمت الجبال على الطير ؟ قلتُ : لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلُّ على القدرة وأدخلُ في الإعجاز ؛ لأنها جمادٌ والطيرُ حيوان إلا أنه غيرُ ناطقٍ . رُوي أنه كان يمرُّ بالجبال مسبحاً وهي تجاوبُهُ ، وقيل : كانت تسير معه حيث سار"[5] . ذكر أبو حيان الأندلسي أنَّ (الطير) معطوف على الجبال قال : "ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح"[6] .

(1) ينظر : روح المعاني : 280/15 .
(2) ينظر : معاني النحو : 44/1-45 .
(3) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 672/2 .
(4) إعراب القرآن للنحاس : 75/3-76 .
(5) الكشاف : 200/3 .
(6) البحر المحيط : 307/6 .

وقيل : جملة (يسبِّحْنَ) مستأنفةٌ لا محل لها من الإعراب ، وهو قولٌ بعيدٌ[1] .

وبالنظر يتبين أنَّ (الواو) في قولِهِ : (والطير) تحتمل أن تكون عاطفة فيكون الطيرُ معطوفاً على الجبال ، فإنّ كانت الجبالُ مسبحةً وهي جماد فمِنْ باب أولى أنْ يكون الطيرُ مسبحاً بلغتِهِ مصداقاً لقوله تعالى : چگ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈچ الإسراء : 44 . والواو تقتضي مطلق الجمع[2] ، أي : قد تكون الجبال مسبحةً قبل الطير وقد يكون العكس ، وتحتمل أنْ تكون الواو للمعية ، وحينئذٍ تقتضي المصاحبة والاقتران في وقتٍ واحدٍ[3] ، وكلا المعنيين مقصودان ، وهذا القصد جاء من احتمال الواو للعطف والمعية كما هو ظاهر النص القرآني[4] .

ثالثاً : عود الضمير :

قد تعدد أوجه عود الضمير في التعبير القرآني وهذا العَودُ يدخل في إطار التوسع في المعنى ما لم تكن هناك قرينة تحدد معنىً من المعاني ، ومن أمثلة عود الضمير :

1- قال تعالى : چڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃچ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گچ آل عمران : 103

قولُهُ : (منها) : "الضمير للحفرة ، أو للنار ، أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أُضيف إليه أو ؛ لأنّهُ بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة"[5].

(1) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 185/8 .

(2) ينظر : مغني اللبيب : 17/2 ، ومعاني النحو : 187/3 .

(3) ينظر : معاني النحو : 220/2 .

(4) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 49/1 ، 172/1 ، 649/2 ، 679/2 .

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 178/1 .

فالهاء قد تعود على الشفا فترك (الشفا) ووقع التأنيث على الحفرة ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال جرير[1] :

رأتْ مرَّ السنين أخذنَ مني كما أخذَ السِّرارُ[2] من الهلالِ[3]

وقد تعود على الحفرة ، أي : أنقذكم من الحفرة[4] . وقد "تعود على النار ؛ لأنّها المقصودة"[5] .

والمذكر المضاف قد يكتسب التأنيث مما أُضيف إليه والعبارة تصح إذا أُسقط المضاف وأُقيم المضاف إليه مُقامَهُ ، نحو : أضرتْ بيَ مرُّ السنين ، فلو أُسقط المذكر المضاف لجاز المعنى : أضرتْ بي السنون[6] . وكقراءة الحسن البصري (ت110هـ) وابن كثير (ت120هـ) وابن أبي عبلة (ت152هـ) : (تلتقطْهُ بعضُ السيارة) يوسف : 10 ، وكقولهم : ذهبت بعضُ أصابعِهِ ، فأنث لمّا كان (بعض السيارة) سيارة في المعنى ، وبعض الأصابع إصبعاً[7] . أي : تلتقطْهُ السيارة ، وذهبتْ أصابعُهُ ، ولذا يصح في غير القرآن أن نقول : وكنتم على حفرةٍ من النار فأنقذكم منها .

ذكر ابن عطية الأندلسي في عود الضمير على الشفا أنه : لا يُحتاج فيه إلى هذه الصناعة ، إلا لو لم تجد معاداً للضمير فثمةَ لفظ مؤنث يعود الضمير عليه ، ويعضدُهُ المعنى المتكلَّمُ فيه فلا حاجة إلى تلك الصناعة[8] .

---

(1) ينظر : شرح ديوان جرير : 546 .

(2) السرار : يوم يستتر فيه الهلال آخر يوم من الشهر أو قبله ، ينظر : العين (سرر) : 236/2 .

(3) ينظر : مجاز القرآن : 98/1 .

(4) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 658/5 .

(5) إعراب القرآن للنحاس : 368/1 .

(6) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : 313/1 .

(7) ينظر : الخصائص : 392/2 ، وتنظر القراءة في : شواذ القراءات : 242 .

(8) ينظر : المحرر الوجيز : 485/1 .

والسؤال هو : شفا الحفرة مذكر فكيف قال : (منها) ؟ والجواب عن هذا من أوجه :

الأول : الضمير عائد إلى الحفرة ولما أنقذهم من الحفرة فقد أنقذهم من شفا الحفرة وشفاها جزءٌ منها .

والثاني : عائد إلى النار ؛ لأن القصد الإنجاء من النار لا من شفا الحفرة .

والثالث : إن شفا الحفرة حرفُها وشفيرها وجائز أن يخبر عنه بالتذكير والتأنيث[1] . فاكتسب التأنيث منها بإضافته إليها . ومعلومٌ أنّ المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد .

أما أبو حيان الأندلسي فقد ردَّ مقالة ابن عطية الأندلسي قائلاً : "لا يحسنُ عودُهُ إلا على الشفا ؛ لأنَّ كينونتهم على الشفا هو أحد جزأي الإسناد ، فالضمير لا يعود إلا عليه ... فالإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار ؛ لأنَّ الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفرة ، ومن النار ، والإنقاذ منهما لا يستلزم الإنقاذ من الشفا فعَوْدُهُ على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظُ ومن حيث المعنى"[2] .

الذي يبدو أنَّ في هذه الأقوال نظراً ، فأما الصناعة النحوية المتمثلة باكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه فقد قال به جمهور النحاة والمفسرين[3] .

فالصناعة أكسبت النص معنىً ثالثاً وهو أبلغ من المعنيين الآخرين والإنقاذ من حافة الحفرة أفخم معنىً من الحفرة والنار أنفسهما ؛ لأنَّ الإنقاذ من الشفا لازمٌ للإنقاذ من الحفرة والنار وفاقاً لأبي حيان في هذا المعنى ، وأما قصر الضمير في عودِهِ على الشفا فلا يمكن وإن كان أبلغ من الحفرة والنار ؛ وذلك لإمكان عود الضمير عليهما ؛ لأنّ الذي سوّغ احتمالات مرجع الضمير على الكل هو غياب القرينة التي تقطعُ بهذا

---

(1) ينظر : التفسير الكبير : 180/8 .

(2) البحر المحيط : 22/3 .

(3) ينظر : شرح ابن عقيل : 49/3 ، وهمع الهوامع : 421/2 ، وروح المعاني : 20/4 .

المعنى دون ذاك ، الأمر الذي يفضي إلى احتمال هذه الأوجه جميعها وهي كلُّها مرادة مقصودة في سياق الآية الكريمة وفي هذا اتساع المعاني بما لا يخفى والله أعلم .

2– قال تعالى : ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﭼيونس : 83

قال البيضاوي : "إلا أولادٌ من أولادِ قومِهِ بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوهُ خوفاً من فرعونَ إلا طائفة من شبّانهم ، وقيل : الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ، أو مؤمن آل فرعون ، وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته"[1] .

ذهب الطبريّ إلى أنَّ الهاء في قولهِ تعالى : (من قومِهِ) تعودُ على موسى ؛ لقربها من ذكرِهِ وهذا العَوْدُ أولى من عودها على فرعون لبُعدِ ذكرِهِ منها ، فإنّ في قولِهِ : (على خوفٍ من فرعون وملئِهِم) الدليل الواضح على أنّ الهاء لموسى ، ولو كانت لفرعون لكان الكلام : على خوفٍ منه ، ولم يكن : على خوفٍ من فرعون[2].

وذكر البغوي أنَّ الهاء راجعة إلى فرعون ، والذرية ناس من قوم فرعون آمنوا ، منهم : امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه، وماشطته[3] . "فإن قلت : إلامَ يرجع الضمير في قولهِ : (وملئِهِم) ؟ قلت : إلى فرعون ، بمعنى : آل فرعون كما يقال : ربيعةُ ومضر ؛ أو لأنّهُ ذو أصحابٍ يأتمرون له"[4] . وثمة من يرى العكس ؛ إذ يضعف عود الضمير إلى موسى قال ابن عطية الأندلسي : "ومما يضعف عود الضمير على (موسى) أنّ المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذلٌّ مفرط وقد رجوا كشفه على

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 445/1 .
(2) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 247/12 .
(3) ينظر : معالم التنزيل : 145/4 .
(4) الكشاف : 377/2 .

يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً ، فلما جاءهم موسى ﴿ ﴾ أصفقوا عليه – اجتمعوا – واتبعوه ولم يحفظ قطّ أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن ؟ فالذي يترجَّحُ بحسب هذا أنَّ الضمير عائد على (فرعون)"[1] .

ووافق فخر الدين الرازي الطبري في عود الضمير إلى موسى[2] ، وكذا أبو حيان الأندلسي[3] ، والسمين الحلبي[4] .

وأيَّد الآلوسي ابن عطية الأندلسي ، قائلاً : "فالظاهر القول الثاني : وما ذكر من أن المحدَّث عنه موسى ﴿ ﴾ لا يخلو عن شيء ، فإنّ لقائل أن يقابل ذلك بأن الكلام في قوم فرعون ؛ لأنهم القائلون إنه ساحر ... لأن المراد حينئذٍ : فما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذريةٌ من بني إسرائيل دون غيرهم فإنهم أخفوهُ ولم يظهروه"[5] .

ويبدو أن الضمير يحتمل المعنيين : إن عاد إلى موسى ؛ فلأنّهُ الأقرب وهو المحدَّث عنه ، وإن عاد إلى فرعون ؛ فلأنَّ ذكر فرعون وقومه قد تقدم قبلُ قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ

يونس : 79–82 .

أما القول : إنّه لو كان الضمير لفرعون لقال بعدَهُ : على خوفٍ منه لاستلزم أن يقول : على خوفٍ منه وإنّه لعالٍ في الأرض وليس بمراد ؛ لأنَّ السياق قبل الضمير وبعده

---

(1) المحرر الوجيز : 137/3 .

(2) ينظر : التفسير الكبير : 150/17 .

(3) ينظر : البحر المحيط : 182/5 .

(4) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 254/6 .

(5) روح المعاني : 168/11 .

يركّز على إجرام فرعونَ وعُلُّوِهِ في الأرض وتكرار اسمه أوكد من أنْ يُكنى عنه بالضمير .

3- قال تعالى : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الحديد : 22

قال البيضاوي في قولهِ : (نَبرأها) : "نخلقها ، والضمير للمصيبة ، أو للأرض ، أو للأنفس"(1) .

وذكر أبو جعفر النحاس أنَّ : الضمير قد يكون راجعاً للأنفس أو للأرض أو للمصائب ، والأول أولاها ؛ لأنَّ الجلّة قالوا به وهو أقرب إلى الضمير(2) .

أما ابن عطية الأندلسي فلم يعيّن مرجع الضمير قال : "وهي كلّها معانٍ صحاح ؛ لأنَّ الكتاب السابق أزليّ قبل هذه كلّها"(3) .

وقيل : "إذا تقدم مما يصلح للتفسير شيئان فصاعداً ، فالمفسِّر هو الأقرب لا غير ، نحو : جاءني زيدٌ وبكرٌ فضربتُهُ ، أي : ضربت بكراً"(4) .

ويجوز أن يعود الضمير على الأول بدليل القرينة ، نحو : جاءني عالمٌ وجاهلٌ فأكرمتُهُ ، أي : أكرمتُ العالم(5) .

ويرى أبو حيان الأندلسي أنَّ الضمير في (نبرأها) يعود على المصيبة ؛ لأنها هي المحدّث عنها ، وذكر الأرض والأنفس على سبيل محل المصيبة(6) .

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1049/2 .

(2) ينظر : إعراب القرآن : 365/4 ، والهداية إلى بلوغ النهاية : 7329/11 .

(3) المحرر الوجيز : 268/5 ، وينظر : التفسير الكبير : 238/29 .

(4) شرح الرضي على الكافية : 404/2 ، وينظر : معاني النحو : 58/1 .

(5) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 404/2 .

(6) ينظر : البحر المحيط : 224/8 ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 251/10 .

والأظهر من بين هذه الأقوال هو ما ذهبَ إليه ابن عطية الأندلسي ؛ لأنَّ "ما يقع من مصيبة في الأرض أو في الأنفس إنما هو مدوَّن في كتاب قبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس وقبل وقوع المصيبة"[1] وليس هناك قرينة سياقية تحدد معنىً من هذه المعاني على سبيل الحصر وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على جواز عود الضمير في (نبرأها) على الكلّ وهو مرادُ السياق القرآني على ما أحسب واللهُ أعلم.

4- قال تعالى : چ ڈ ٿ ٿ ٹ ٹچ الإنسان : 8

ذكر البيضاوي أن الضمير في قولهِ : (على حبهِ) قد يعود على حبّ الله تعالى أو على الطعام أو على الإطعام[2] . وهو بهذا موافق الزمخشريّ في وجهين :
الأول : عود الضمير للطعام ، أي : مع اشتهائه والحاجة إليه ، والآخر : عودُهُ على حب الله[3] . "ويحتمل على حبّ الله الإطعام ، ويكون المصدر مضافاً إلى الفاعل"[4].
الفاعل"[4]. والمعنى : "على حبّ إطعام الطعام"[5] .

وذكر القزويني (ت739هـ) أن : (التتميم) هو أن يؤتى في كلام لا يوهم غيرَ المرادِ بكلمةٍ زائدةٍ تفيد نكتةً كالمبالغة في قوله : (على حبّهِ) أي : مع الحاجة إليه ، أو على حبّ الله فلا يكون من هذا[6] .

والظاهر أن المبالغة والتكثير في الإطعام مظنة ابتغاء وجه الله ومرضاته وهو معنىً مراد في سياق الآية ، جاء في (البحر المحيط) : "والأول – على حب الطعام –

(1) على طريق التفسير البياني : 287/1 .
(2) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1117/2 .
(3) ينظر : الكشاف : 514/4 .
(4) غرائب التفسير وعجائب التأويل : 1287/2 .
(5) الجامع لأحكام القرآن : 459/21 .
(6) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : 205 ، وجواهر البلاغة : 146 .

أمدح ؛ لأنّ فيه الإيثار على النفس ، وأما الثاني – على حب الله – فقد يفعله الأغنياء أكثر"[1] . "أو على حبِّ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب نفس وعدم تكلّف"[2] . "فالضمير يعود على مصدر (يطعمون) وهو الإطعام ... وأعلاها أن يكون لكلّ ذلك ، فهُم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه واشتهائه فيكون ذلك من باب الإيثار ، ويفعلونه بطيب نفس من غير تكدير ولا مِنّة فيكون من باب الإحسان ، مبتغين بذلك وجه الله تعالى ورضاه خالصاً عملُهُم له فيكون من باب الإخلاص فيجتمع بذلك الإيثار والإحسان والإخلاص"[3] وهذه الأوجه كلها مرادة وإن كان المعنى (على حب الله) أظهر لمجيئهِ في الآية بعدها : ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭼ الإنسان: 9 [4][5] .

---

(1) البحر المحيط : 388/8 .

(2) روح المعاني : 155/29 .

(3) على طريق التفسير البياني : 167/1 .

(4) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(5) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 136/1 ، 318/1 ، 943/2 .

المبحث الثالث
التوسع في الأساليب

أولاً : أُسلوب الحذف :

<u>الحذف لغةً :</u> حَذَفَ الشيء يحذِفُهُ حذفاً : قطعهُ من طرفِهِ ، والحُذافة ما حُذف من شيء فطُرح ، وحَذْفُ الشيء إسقاطه[1] .

<u>واصطلاحاً</u> : هو "إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل"[2] ، وما من شيءٍ حُذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفُهُ أحسن من ذكرِهِ وإضمارُهُ في النفس أولى وآنس من النطق بهِ[3] ، والحذف في الكلام قد يؤدي إلى التوسع في المعنى وقد لا يؤدي إليه ، يقول الدكتور فاضل السامرائي : "الحذف قسمان : قسم لا يؤدي إلى إطلاق في المعنى ولا إلى توسعٍ فيه وهو ما تعيَّن فيه المحذوف كقوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ النحل : 30 ، أي : أنزل خيراً ، ونحو ما جاء في الحديث الشريف : (ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم) [4] ، أي : فاعلٌ خيراً ، أنت أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم ، ونحو أن تقول : ماذا تشرب ؟ فيقول : لبناً ، أي : أشربُ لبناً . والقسم الآخر : وهو الذي يؤدي إلى التوسع في المعنى وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات ، فما صحَّ تقديرُهُ وأمكن أن يكون مراداً في سياقِهِ كان ذلك من باب التوسع في المعنى"[5] ، ومن الحذف الدال على التوسع في المعنى قولُهُ تعالى : ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ الشعراء : 72–73 "فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضَّرِّ وقد تظن أنّه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ،

---

(1) ينظر ، المحكم والمحيط الأعظم (حذف) : 217/3 ، ولسان العرب (حذف) .

(2) البرهان في علوم القرآن : 685 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز : 117 .

(4) السنن الكبرى للبيهقي (باب فتح مكة) : 118/9 .

(5) الجملة العربية والمعنى : 157 .

ولا شك أنّه لو ذكر المفعول بهِ لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي ، ولكنَّ الحذف اقتضاهُ المعنى أيضاً فقد ذكر مفعول النفع فقال : (ينفعونكم) ؛ لأنهم يريدون النفع لأنفسهم ، وأطلق الضر لسببين : الأول : أنّ الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنّما يريدهُ لعدوِّهِ ، والآخر : أنّ الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر ، فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضَّرَّ موضع إطلاق ، فخَصَّ النفع وأطلق الضرّ والمعنى : أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها ؟! ولو ذكر المفعول به فقال : (أو يضرونكم) لَمَا أفاد هذين المعنيين ، فانظر كيف أنّ الإطلاق في الضرّ اقتضاهُ المعنى علاوة على الفاصلة ؟ "[1] .

1- قال تعالى : ﭽ ﮯ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ
ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ النساء : 127

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى : (وترغبون أن تنكحوهنّ) : "في أن تنكحوهنّ ، أو عن أن تنكحوهنّ ، فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إنْ كنّ جميلات ويأكلون مالَهنّ ، وإلا كانوا يعضلونهنَّ طمعاً في ميراثهنَّ"[2] ولأهل اللغة في هذا تقديران : أحدهما : أن المعنى : وترغبون عن أن تنكحوهنّ فحذفتْ (عن) ، والآخر : وترغبون في أن تنكحوهنَّ فحذفت (في) [3] . و"هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة ، فالمعنى في الرغبة : في أن تنكحوهنّ لمالهنّ أو لجمالهنّ ، والنفرة : وترغبون عن أن تنكحوهنّ لقبحهنّ فتمسكوهنَّ رغبةً في أموالهنّ"[4] ، ولم يعيّن حرف الجر مع

---

(1) التعبير القرآني : 219 .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 244/1 .

(3) ينظر : معاني القرآن للنحاس : 248/1 ، والنكت والعيون : 532/1 .

(4) البحر المحيط : 378/3 ، وينظر : فتح القدير : 824/1 .

(رَغِبَ) ههنا ، والمطَّرد حذفُهُ مع (أنَّ ، وأنْ) وشرطُهُ أمنُ اللّبس نحو : عجبتُ أنّك فاضلٌ ، أي : من أنّك فاضلٌ ، وهذا معنى قول ابن مالك (ت672هـ) :

نقلاً وفي أنَّ وأنْ يطَّردُ مَعْ أمنِ لبسٍ كعجبتُ أن يدوا

أي : يغرموا الدّية ، واحترز بـ(أمن اللبس) من نحو : رغبتُ في أنْ تفعلَ ، فلا يجوز حذف الجار لئلا يتوهم أن المراد : عن أن تفعلَ ، وأما حذف حرف الجر من قوله تعالى : (وترغبون أن تنكحوهنّ) فعنهُ جوابان : الأول : أن يكون حُذِفَ اعتماداً على القرينة الرافعة للبس ، والآخر : أن يكون حُذِفَ لقصد الإبهام ليرتدع من يرغبُ فيهنّ وعنهنّ[1] . "وهنا سؤال : وهو أن أهل العربية ذكروا أنّ حرف الجر يجوز حذفُهُ باطراد مع (أنْ) و(أنَّ) بشرط أمن اللّبس ، وهذا يعني : أن يكون الحرف متعيناً نحو : عجبتُ أنْ تقوم ، أي : من أنْ تقوم ، بخلاف : مِلْتُ إلى أنْ تقوم أو عن أنْ تقوم ، والآية من هذا القبيل . والجواب : أنَّ المعنيين صالحان ... فصار كلٌّ من الحرفين مراداً على سبيل البدل"[2] .

وللنساء وصفان في هذه الآية : الرغبة فيهنّ والرغبة عنهنَّ فيحتمل أن يكون المحذوف (في) ويحتمل أن يكون (عن) وهو ما يدل على العموم[3] .

"وحذف الجار هنا لا يعدُّ لبساً ، بل إجمالٌ ، فكل من الحرفين مرادٌ على سبيل البدل"[4] وَلهُ "موقعٌ عظيمٌ من الإيجاز وإكثار المعنى ، أي : ترغبون في نكاح بعضِهِن ، وفي نكاح بعضٍ آخر فإنَّ الفعل رَغِبَ يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يُحبُّ ، وبحرف (في) للشيء المحبوب فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم

(1) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 625/2 ، ومغني اللبيب : 182/2-183 .
(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 106/4 .
(3) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 692 ، والإتقان في علوم القرآن : 48/3 .
(4) روح المعاني : 160/5 .

يكن بينهما تنافٍ"[1] فأدى الحذفُ إلى إرادة المعنيين جميعاً على سبيل العموم ولو ذكر حرفاً منهما لأفضى ذكرُهُ إلى انتفاء التوسع في المعنى المترتب على الآية الكريمة ، ولصارَ المعنى متعلقاً بالحرف المذكور حَسْب بَيْد أن التعبير القرآني قَصَدَ هذا الحذف ليشمل الحكمين على السواء ، وهو توسعٌ في المعنى ظاهر .

2- قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأعراف : 44 .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (ما وَعَدَ ربكم) : "إنما لم يقل : ما وعدكم كما قال ما وَعَدَنا ؛ لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسرِهِ مخصوصاً وعدهُ بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة"[2] . "يقول تعالى ذكرُهُ : ونادى أهلُ الجنة أهل النارِ بعد دخولهموها : أنْ يا أهل النار قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا في الدنيا على ألسنِ رسلِهِ من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب حقاً ؟ فأجابهم أهل النار بأنْ نعم قد وجدنا ذلك حقاً كما وعدنا ربُّنا"[3] .

جاء في (الكشاف)[4] : "فإن قلت : هلاّ قيل : ما وعدكم ربكم كما قيل : ما وعدنا ربّنا ؟ قلت : حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وَعَدَنا عليه ، ولقائل أن يقول : أُطْلِقَ ليتناول كلّ ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ؛ ولأنّ الموعود كلَّه مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذابٌ لهم ، فأطلق لذلك" .

---

(1) التحرير والتنوير : 213/5 .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 341/1 .

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 205/10 ، وينظر : بحر العلوم : 542/1 .

(1) 2 / 157 ، وينظر : البحر المحيط : 4 / 303 .

وذكر المفعول مع (وَعَدَنا) يدلُّ على أنّه تعالى خاطبهم بهذا الوعد ، وكونهم مخاطبين من قِبل الله سبحانه يوجب مزيد التشريف ، ومزيد التشريف هذا لائقٌ بحال المؤمنين ، أمَّا حذف المفعول مع (ما وَعَدَ ربُّكم) ؛ فلأنَّ الكافر ليس أهلاً لأنْ يخاطبه الله تعالى ؛ لذلك لم يذكر الله أنّه خاطبهم بهذا الخطاب بل بيَّن هذا الحكم[1]. وهذه لمسة لطيفة ، فالغالب في الاستعمال القرآني أنّه يستعمل (وَعَد) في الخير أكثر[2] ، وقد يستعمل (وعد) في الشر أيضاً[3] ، وعلى المعنى الأول : كأنّ الله سبحانَهُ وتعالى لا يريد أنْ يمسَّهم بالخطاب بعد ما كانوا موغلين في الكفر ومُصرّين في عنادهم لذلك حذف المفعول به معهم ، وليس الحال كذلك مع المؤمنين فقد نالهم من الخير ما نالهم فذَكَر المفعول معهم .

وردَّ السمين الحلبي على الزمخشري قائلاً : "قلتُ : قولُهُ : (ولقائلٍ إلى آخرِهِ) هذا الجواب لا يطابق سؤالَهُ ؛ لأنّ المدعى حذف المفعول الأول وهو ضمير المخاطبين ، والجواب وقع بالمفعول الثاني الذي هو الحساب والعقاب وسائر الأحوال ، فهذا إنما يناسب لو سُئل عن حذف المفعول الثاني لا المفعول الأول"[4] ويبدو أنّ قول السمين الحلبي فيه نظر ؛ لأن الحساب والعقاب وسائر أهوال القيامة يدلُّ على هذا كلّه المفعولُ الأولُ وهو ضمير المخاطبين وحُذِف لغرض العموم والتوسع في المعنى ، فإن كان المفعول الثاني دالاً عليها كما قال لم يكن للمفعول الأول معنىً بل الظاهر حَذْف الأول ليشمل الوعد بصورتِهِ العامة . ويرى الشهاب الخفاجي (ت1069هـ) أنَّ حذف المفعول جاء لغرض التخفيف والإيجاز استغناءاً عنه بالأول فلا بُدَّ من حملِهِ على الاكتفاء بالسابق لا على الإطلاق[5] . وليس كذلك بل الإطلاق هو مرادُ التعبير

---

(1) ينظر : التفسير الكبير : 89/14 .

(2) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : 425/1 .

(3) ينظر : لسان العرب : (وعد) .

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 326/5 .

(5) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 171/4 ، والتحرير والتنوير : 137/8 .

القرآني فيكون المرادُ : شاملاً لما وعدهم وما وَعَدَ غيرهم من الثواب والعقاب ويكون الكلام من باب التوسع في المعنى والله أعلم .

3- قال تعالى : چﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ چ الزمر : 73

جواب إذا الشرطية محذوف قال عنه البيضاوي : "حذف جواب إذا للدلالة على أنّ لهم حينئذٍ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف ، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين"[1] .

إذاً جواب (إذا) مكفوف عن خبرِهِ ، أي : مقطوع عنه ومفصول ، والعرب تفعل ذلك في كلامها[2] . وبعضهم يرى أنّ الواو في قولِهِ (وفتحتْ) زائدة ، ويرى البعضُ الآخر : إضمار الخبر أحسن في الآية[3] . أمّا نحاة الكوفة فقالوا : أُدخلت الواو في جواب (حتى إذا) وأُخرجت ، فمن أخرجها فلا شيء في ذلك ، ومن أدخلها شبَّه حال الكفار بالتعجب في الآية التي تسبق هذه وهي قولُهُ تعالى : چﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ چ الزمر : 71 ، فجعل الثاني وهو قولـه : (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) عطفاً على الأول (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم) ، وإنْ كان الثاني جواباً لـ(إذا) عند الكوفيين فكأنه قال : أتعجب لهذا ولهذا ، والجواب متروك[4] . "فدلَّ بحذفِهِ على أنه شيءٌ لا يحيط به الوصف"[5] أو لتذهبَ نفسُ السامع كلَّ مذهبٍ فلا يتصوَّر مطلوباً إلا ويجوز أن يكون الأمرُ أعظم منه ، ولو عُيِّن شيءٌ اقتصر عليه ، وربما

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 920/2 .

(2) ينظر : مجاز القرآن : 192/2 .

(3) ينظر : معاني القرآن للأخفش : 497/2 .

(4) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 268/20-269 .

(5) الكشاف : 68/4 ، وينظر : روح المعاني : 34/24 .

خفَّ أمرُهُ عند السامع[1] . ولهذا قصدٌ يؤثر في مواطن التعجب والتهويل والتعظيم فحذف الجواب من قولهِ : (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابُها) ؛ لأنَّ وصف ما يجدونه في الجنة لا يتناهى ، فَجُعِل الحذفُ دليلاً على ضيقِ الكلام عمَّا هو مُشاهد وتُركتْ النفوس تقدّر ، ولا تبلغ مع ذلك كُنْهَ ما هنالك[2].

وعدم تقدير جواب لـِ(إذا) في هذا الموطن أولى ؛ لأنّ المعنى يقتضي عدم التقدير خلافاً للنحاة الذين قدَّروا وأوَّلوا من دون النظر إلى مراد المعنى ، وهذا الجواب لا تستطيع اللغة أن تعبر عنهُ لقولهِ تعالى : ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ السجدة : 17 ، ويعضد هذا الحديثُ الشريف : (قال اللهُ عزَّ وجلَّ : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعتْ ولا خطر على قلب بشر) [3] فأدَّى حذفُ جوابِ الشرط إلى إطلاق المعنى وتوسعِهِ .

4- قال تعالى : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الحجرات : 1 .

قال البيضاوي في معرض حديثه عن هذه الآية الكريمة "أي : لا تقدموا أمراً، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كلّ ما يمكن ، أو تُرك ؛ لأنّ المقصود نفي التقديم رأساً ، أو لا تتقدموا ، ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم"[4] . (لا تقدموا) أي : لا تقولوا قبل أن يقول رسولُ الله ﴿ ﷺ ﴾ وتقول العرب : فلانٌ يقدِّم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه ، أي : يُعجل بالأمر والنهي دونه[5] وقرئ[1] : لا تَقَدَّموا ، وكلتا القراءتين عند

(1) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : 188 ، ومعاني النحو : 106/4 .
(2) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : 145/2–146 ، ومعاني النحو : 106/4 .
(3) صحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) : 1136 .
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 998/2 .
(5) ينظر : مجاز القرآن : 2 / 219 ، وغريب القرآن لابن قتيبة : 415 .

الزجاج بمعنى واحدٍ[2] . فإنْ "كانَ المعنى واحداً على التساهل فثَمَّ فرقٌ بينهما من حيث اللغة ، قدمت يتعدى فتقديرهُ : لا تقدّموا القولَ والفعلَ بين يدي رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وَتَقْدُمُوا ليس كذا ؛ لأنّ تقديرهُ : لا تقدموا بالقول والفعل"[3] ولحذف مفعول (تقدّموا) وجهان : "أحدهما : أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدَّم ، والثاني : ألاَّ يقصدَ قصدَ مفعولٍ ولا حذفِهِ ، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة ، كأنّهُ قيل : لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ، ولا تجعلوه منكم بسبيل كقولهِ تعالى : ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﭼ غافر : 68 ، ويجوز أن يكون من قدَّم بمعنى تقدَّم كوجَّهَ وبيَّن ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته ، وهي الجماعة المتقدمة منه ، وتعضدُهُ قراءةُ من قرأ : لا تَقَدَّمُوا (بثلاث فتحات) بحذف إحدى تاءي (تتقدموا إلا أنَّ الأول أملأُ بالحسن وأوجه وأشدُّ ملاءمةً لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل"[4] وقَدَمَهم يَقْدُمُهم قَدْماً وقدوماً وقَدِمَهم : صار أمامهم ، وفسَّر ثعلب (ت291هـ) قراءة (تُقدِّموا) بـ : لا تقدموا كلاماً قبل كلامِهِ ، و(تَقَدَّموا) بـ : لا تَقَدَّموا قبله[5] ، وعلى هذا يحتمل أنْ يكون الفعل (تُقدّموا) متعدياً وحُذف مفعولُهُ للعموم والنهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعولٍ معين ، ومحتمل أن يكون الفعلُ لازماً بمعنى (تَقَدَّم) أي : لا تتقدموا في شيءٍ ما من الأشياء[6] . وعلى هذا لا يجوز جعل القراءتين بمعنىً واحدٍ للفرق المعنوي بين الفعل المتعدي واللازم . والفعل نفسُهُ (لا تُقدِّموا) على قراءة العامة يحتمل اللزوم والتعدي ، ومفعوله محذوف إمّا اقتصاراً

---

(1) وهي قراءة الضحاك ويعقوب ، ينظر : المحتسب : 278/2 ، والمستنير في القراءات العشر : 455/2 .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : 31/5 .

(3) إعراب القرآن للنحاس : 208/4 .

(4) الكشاف : 240/4 .

(5) ينظر : لسان العرب (قدم) . ولم أجد هذا الكلام في مجالس ثعلب ولا في فصيحه .

(6) ينظر : البحر المحيط : 105/8 ، ودراسات لأُسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث : 194/2 .

كقولهم : هو يعطي ويمنع ، وإمّا اختصاراً للدلالة عليه ، أي : لا تقدموا ما لا يصلحُ ، وأمّا وجه لزومِهِ نحو : وجَّه وتوجَّه فالقراءة تؤيدُهُ[1] . والقصد من حذف المفعول العموم والإطلاق "أي : ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قولٍ أو فعل ، مثلاً : إذا جرت مسألة في مجلسِهِ ﴿ ﷺ ﴾ لا يسبقونه بالجواب ، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل وإذا ذهبوا معه ﴿ ﷺ ﴾ إلى موضع لا يمشون أمامه إلا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك"[2] ، ولو قُدّر مفعولٌ في سياق الآية كان التقديرُ ترجيحاً بلا مرجح والأصح يكون التقديرُ عاماً ؛ لأنه أكثر فائدةً مع الاختصار مع قطع النظر مما يُقدم[3] .

ويظهر من هذا الذي مرَّ أنّ حذف المفعول بهِ من الفعل (لا تُقدّموا) مقصودٌ مرادٌ وفاقاً للزمخشري ؛ لأنَّ السياق القرآني اقتضى إظهار الفعل من دون مفعولِهِ بهدف القصد إلى العموم والإطلاق ليشملَ بذلك كلَّ تقديمٍ سواء أكان بالقول أم بالفعل إبرازاً لمكانة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وتعليماً للمسلمين الأدب بحضرتِهِ ، ولو أراد مفعولاً بهِ لحدَّدهُ ، ولكنّه أطلق ولم يحدد ، وفي هذا الحذف توسعةٌ في المعنى بما لا يخفى والله أعلم[4] .

ثانياً : أُسلوب الاستثناء :-

وهو من أساليب العربية التي جاء بها القرآن الكريم على مقتضى قواعدها وقد أولى البيضاوي عنايتَهُ بهذا اللون النحوي وأشار إلى التوسع في هذا الأُسلوب غير مرة ومن الأمثلة التي جاءت في كتابهِ :

---

(1) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 5/10 .

(2) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 269/4 .

(3) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : 71/8 .

(4) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 299/1 ، 716/2 ، 941/2 .

1- قال تعالى : چڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک کچ الحجر : 58-59 .

قال البيضاوي : "إن كان استثناءً من (قوم) كان منقطعاً ؛ إذ القوم مقيد بالإجرام ، وإن كان استثناءً من الضمير في مجرمين كان متصلاً ، والقوم والإرسال شاملان للمجرمين ، وآل لوط المؤمنين به وكأنّ المعنى : إنّا أُرسلنا إلى قوم أجرم كلُّهم إلا آلَ لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم . ويدلّ عليه قولُهُ : (إنا لمنجوهم أجمعين) أي : مما يعذب به القوم"(1) .

قال الزمخشري : "فإن قلت : قوله تعالى : (إلا آل لوط) استثناءٌ متصلٌ أم منقطعٌ ؟ قلت : لا يخلو من أن يكون استثناءً من (قوم) فيكون منقطعاً ؛ لأنَّ القوم موصوفون بالإجرام ، فاختلف لذلك الجنسان ، وأن يكون استثناءً من الضمير في مجرمين ، فيكون متصلاً كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلُّهم إلا آل لوط وحدَهم ، كما قال : چڤ ڄ ڄ ڃ ڃ چ ڇچ الذاريات : 36 ، فإن قلت : فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين ؟ قلت : نعم وذلك أنّ آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال ، وعلى أنهم أُرسلوا إلى القوم المجرمين خاصّةً ، ولم يرسلوا إلى آل لوطٍ أصلاً . ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرميِّ في أنه في معنى التعذيب والإهلاك ، كأنه قيل : إنا أهلكنا قوماً مجرمين ، ولكنْ آل لوط أنجيناهم ، وأمّا في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أُرسلوا إليهم جميعاً ؛ ليهلكوا هؤلاءِ ، وينجُّوا هؤلاء ، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول"(2) .

---

(1) المصدر نفسه : 535/1 .

(2) الكشاف : 561/2 ، وينظر : التفسير الكبير : 203/19 .

أما أبو حيان الأندلسي فقد أنكر أن يكونَ الاستثناء متصلاً في هذهِ الآية ، إذ قال : "والظاهر أنه استثناءٌ منقطعٌ ؛ لأنّ آل لوط لم يندرج في قوله : (قوم مجرمين) لا على عموم البدل ؛ لأنّ وصف الإجرام منتفٍ عن آل لوط ، ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين ، ولانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط ، وإذا كان استثناءً منقطعاً فهو مما يجب فيه النصب ؛ لأنّه من الاستثناء الذي لا يمكن توجُّهُ العامل على المستثنى فيه ؛ لأنهم لم يرسلوا إليهم أصلاً ، وإنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ، ويكون قوله : (إنّا لمنجوهم) جرى مجرى خبر لكِنْ في اتصاله بآل لوط ؛ لأنّ المعنى : لكِنْ آل لوط منجون"[1] .

وقد ردَّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قلت : وفيه نظر ؛ لأنّ قولهم : لا يتوجه عليه العامل ، أي : لا يمكن نحو : "ضَحِكَ القومُ إلا حمارَهم"، و"صَهِلَتِ الخيلُ إلا الإبلَ" ، وأما هذا فيمكن الإرسال إليهم من غير منعٍ ، وأما قولُهُ: (لأنهم لم يرسلوا إليهم) فصحيح ؛ لأن حكم الاستثناء كلِّه هكذا ، وهو أن يكون خارجاً عن ما حُكِم به الأول ، لكنّه لو تَسلَّط عليه لصحَّ ذلك ، بخلاف ما ذكرتُهُ من أمثلتهم"[2] .

وعليه فالاستثناء المنقطع معناهُ : أنّ الملائكة مرسلون إلى المجرمين خاصةً بالعذاب والهلاك دون آل لوط ، والمتصل معناهُ : الإرسال إليهم جميعاً بيدَ أنَّ الإهلاك للمجرمين والإنجاء لآل لوط . والمعنيان مرادان والسياق في الآية الكريمة يحتملهما الأمر الذي يمكن إدراجهما في باب الاتساع في المعنى القرآني والله أعلم .

---

(1) البحر المحيط : 447/5 .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 168/7 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : 472/11 .

2- قـال تعـالى : ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ النمل : 65 .

قال البيضاوي : "هو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ، ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان مِمَنْ في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغةً في نفيه عنهم ، أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلَّق علمُهُ بها ، واطَّلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنّه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه"(1) .

رُفِع المستثنى ؛ لأن ما قبل (إلا) مرفوع ، ولو نُصِب المستثنى كان صواباً ، هذا إذا كان النفي ما قبل (إلا) مع أسماء معرفة ، فإذا كان مع نكرة فلم يقولوا : إلا الإتباع لما قبل (إلا) نحو : ما ذهبَ أحدٌ إلا أبوك ، فلا تقل : إلا أباك ؛ لأنّ ما قبل (إلا) جمع وما بعدها واحد أو بعض منه ، وليس بكلّه(2) .

واختلف أهلُ العربية في رفع لفظ الجلالة ، فالبصريون ذهبوا إلى أنّهُ بدلٌ من (مَنْ) ؛ لأنّهُ منفي عنهُ ، والكوفيون ذهبوا إلى العطف على : قُلْ لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ ، ويجوز أن تكون (مَنْ) معرفة ، ويكون عطفاً أيضاً ولا يكون بدلاً ؛ لأن الأول منفي ، والثاني مثبت نحو : قامَ زيدٌ إلا عمروٌ فيكون الثاني عطفاً على الأول(3) .

والله يَتَعالى أن يكون ممن في السمواتِ والأرض ، غير أنه جاء مرفوعاً على لغة بني تميم حيث يقولون : ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ ، أي : ما فيها إلا حمارٌ كأن أحداً لم يذكر ، واختيار هذه اللغة دعت إليه نكتة هي : إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب ، يعني أنَّ علمهم الغيب في استحالتِهِ كاستحالة أنْ يكونَ اللهُ منهم ، وكون اللهِ في السموات والأرض مجازاً وكونهم فيهنّ حقيقة وإرادة المتكلم

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 774/2 .

(2) ينظر : معاني القرآن للفرّاء : 298/2-299 ، ومعاني القرآن وإعرابُهُ : 127/4 .

(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 105/18-106 .

بعبارة واحدةٍ حقيقةً ومجازاً غير صحيحة ؛ لأنَّ الجمعَ بينه وبينهم في إطلاق اسمٍ واحدٍ فيه ايهامُ تسويةٍ والايهاماتُ مُزالةٌ عنه وعن صفاته تعالى[1] .

والمعنى أنّه "لو نصب لكان مندرجاً تحت المستثنى منه ، وإذا رفع كان بدلاً، والمبدل منه في نية الطرح ، فصار العامل كأنه مفرغٌ له ؛ لأنّ البدل على نية تكرار العامل ، فكأنّه قيل : "قل لا يعلم الغيبَ إلا اللهُ" "[2] .

فإن كان استثناءاً متصلاً ففيه معنى العموم "وليس في الآية استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ لأنّ من في السموات والأرض ههنا أبلغ صيغ العموم ، وليس المراد بها معيناً فهي في قوة أحد المنفي بقولك : لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا الله ، وأتى في هذا بذكر السموات والأرض تحقيقاً لإرادة العموم والإحاطة ، فالكلام مؤدٍ معنى: لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ ، وإنما نشأ الوهمُ في ظنهم أن الظرف ههنا للتخصيص والتقييد ، وليس كذلك ، بل لتحقيق الاستغراق والإحاطة فهو نظير الصفة في قولهِ تعالى : ﴿ ﴾ الأنعام : 38 ، فإنها ليست للتخصيص والتقييد ، بل لتحقيق الطيران المدلول عليه بطائر ، فكذلك قوله : (مَنْ في السموات والأرض)، لتحقيق الاستغراق المقصود بالنفي"[3] .

وهذا الإطلاق لا يُلزم أن يكون مجازاً بل له على وجه الحقيقة التي تليق بجلالتِهِ ولا يشابهُهُ فيها شيءٌ من مخلوقاتِهِ ، ويطلق ذلك على خلقِهِ حقيقة والمختصة به سبحانه لا تماثل التي لخَلقِهِ فتناول الحقيقة لهما لا يستلزم تماثلهما حتى يفر منه إلى المجاز[4] .

---

(1) ينظر : الكشاف : 420/3 ، وفتح القدير : 194/4 .

(2) البحر المحيط : 87/7 .

(3) بدائع الفوائد : 419 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 420 .

"والاستثناء على ما قيل : منقطعٌ تحقيقاً متصلٌ تأويلاً"[1] . فالمنقطع يدلُّ على تفردِهِ سبحانه بالعلم وحدَهُ مبالغةً في النفي عنهم ، والمتصل يعمُّ الله سبحانه وأولي العلم من خلقه على حقيقة علم الله التي لا تماثُلها حقيقة .

3- قال تعالى : چ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ الزخرف : 26-27 .

قال البيضاوي : "استثناء منقطع أو متصل على أن (ما) يعم أولي العلم وغيرهم ، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام والأوثان"[2] .

فيجوز أنْ يكون استثناءاً من قولهِ : (مما تعبدون) ، ويجوز أن يكون بمعنى (لكِنْ) أي : استثناءاً منقطعاً[3] . "كأنه قال : لكن الذي فطرني فإنّه سيهدين"[4] ، وأغفل البيضاوي وجهَ الجرّ في المستثنى على أن يكون "بدلاً من المجرور بمِنْ ، كأنّه قال : إنني براءٌ مما تعبدون إلا من الذي فطرني . فإن قلت : كيف تجعلُهُ بدلاً وليس من جنس ما يعبدون ؟ من وجهين : أحدهما : أن ذاتَ الله مخالفةٌ لجميع الذوات ، فكانت مخالفةً لذوات ما يعبدون ، والثاني : أنَّ الله تعالى غيرُ معبودٍ بينهم والأوثان معبودة . قلت: قالوا : كانوا يعبدون الله مع أوثانهم"[5] .

ولم يُجوّز أبو حيان الأندلسي وجهَ البدل المجرور ، قال : "ووجه البدل لا يجوز ؛ لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ، ألا ترى أنّه

---

(1) روح المعاني : 9/20 .
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 957/2 .
(3) ينظر : معاني القرآن للنحاس : 1145/2 .
(4) الكشاف : 152/4 ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : 27/19 .
(5) الكشاف : 152/4 .

يصلح ما بعد إلاّ لتفريغ العامل له ، وإنني بريءٌ جملة موجبة فلا يصلح أن يفرغ العامل فيها للذي هو بريء لما بعد إلا ، وعن الزمخشري كون بريء فيه معنى الانتفاء ، ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد إلاّ"[1] .

وردَّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قد تأوَّل النحاة ذلك في مواضعَ من القرآن كقوله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ التوبة : 32 ... والاستثناء المفرغ لا يكون في إيجاب ، ولكن لمّا كان "يأبى" بمعنى : لا يفعل ... ساغ فهذا مثلُهُ"[2] . معنى هذا أنّ النفي آتٍ من معنى الفعل (يأبى) .

وقد يقع الاستثناء المفرغ في الإيجاب كقوله تعالى : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ البقرة : 45 ، وقوله : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ ، فلما كان المعنى : وإنها لا تسهُلُ إلا على الخاشعين ، ولا يريد الله إلا أن يتمَّ نورَهُ . جاز ذلك[3] . وكلفظ (قلَّ) تستعملُهُ العربُ بمعنى النفي ، نحو : قلَّ رجلٌ يقولُ ذاك إلا زيدٌ ، أي : ما رجلٌ يقول ذاك إلا زيدٌ ، فالبدل محمولٌ على المعنى لا على اللفظ[4] .

وبهذا يتضح أنّ وجه البدل واردٌ عن العرب في الاستثناء المفرغ من جهة المعنى لا اللفظ وفاقاً للزمخشري ، فإن كان الاستثناء متصلاً ؛ فلأنّهم كانوا يشركون مع الله غيرَهُ ، وإن كان منقطعاً فهو ليس من جنسهم ، وإن كان مفرغاً من جهة المعنى فهو قريبٌ من معنى المتصل وكلٌّ مرادٌ ههنا والمعنى محتملٌ لها جميعاً على وجه الاتساع في المعنى .

---

(1) البحر المحيط : 13/8 .

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 582/9 .

(3) ينظر : مغني اللبيب : 333/2 ، وحاشية الصبان : 223/2 .

(4) ينظر : الأشباه والنظائر في النحو : 104/2 .

4- قـال تعـالى : ﭽ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک
گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ
ۀ ہ ہ ۂ ھﭼ الحديد : 27 .

قال البيضاوي تعليقاً على (إلا ابتغاءَ) : في الآية الكريمة : "استثناء منقطع ، أي : ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، وقيل : متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى : ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله ، وهو يخالف قولَه : ابتدعوها إلا أن يقال : ابتدعوها ثم ندبوا إليها ، أو ابتدعوها بمعنى : استحدثوها وأتوا بها أو ؛ لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم"(1) . والرهبانية فرقة خرجت إلى الصحاري وبَنَتِ الصوامع وطلبتْ أن تَسْلم على أن تعتزل فتُرِكَت فَسُمُّوا بالرهبان من الرهب وهو الخوف فهذا هو ابتداعُهُم ولم يفرض اللهُ ذلك عليهم(2) . وفي قولِهِ : (إلا ابتغاءَ رضوان الله) قولان : "أحدهما : أنه استثناءٌ منقطعٌ ، أي : ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، الثاني : أنه استثناء متصل ، والمعنى : أنّا ما تعبدناهم بها إلا على وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، والمراد : أنها ليست واجبة ، فإن المقصود من فعل الواجب دفع العقاب ، بل المقصود منه ليس إلا تحصيل مرضاة الله"(3) فيكون المعنى : أنّ الله سبحانه وتعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاتِهِ ، وكتب ههنا بمعنى : قضى(4) . والاستثناء المتصل هو مما هو مفعولٌ من أجلِهِ ، أي : ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله(5)

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 1050/2 .
(2) ينظر : المحرر الوجيز : 270/5 ، وفتح القدير : 237/5 .
(3) التفسير الكبير : 247/29 ، وينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان : 262/6 .
(4) ينظر : البحر المحيط : 227/8 .
(5) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 257/10 ، واللباب في علوم الكتاب : 506/18 .

. فصار المعنى : كتبناها عليهم وأمرناهم بها ابتغاء مرضاة الله . وهذا لا يخالف ابتداعهم لها من تلقاء أنفسهم ؛ لأنّ التنافي إنما يكون لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع ، أي : فعلوها حديثاً لم يسبقهم سائر الناس فيها والابتداع بهذا المعنى لا ينافي كونها مكتوبة عليهم وإتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناءاً عليها[1] . فقولُهُ : (ابتدعوها) يقتضي أنهم لم يؤمروا بها أصلاً ، و(ما كتبناها عليهم) يقتضي أنهم أُمروا بها لابتغاء رضوان الله تعالى[2]. فالاستثناء إن كان منقطعاً فهو يشير إلى ابتداع الرهبانية واستحداثها من تلقاء أنفسهم، وإن كان متصلاً فهو مظنة القضاء للرهبانية من عند الله سبحانه لكن ليس على سبيل الوجوب ، والتوسع حاصل بكلا المعنيين المرادين في الرهبانيين والله أعلم[3] .

(1) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : 4/361-362 .

(2) ينظر : روح المعاني : 27/191 .

(3) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 2/752 ، 2/891 ، 2/1143 .

Abstract

This is study in the expansion in the meaning of the holy Quran expression in the Al – Baidhawi explanation which is called (Anwar Al – tanzeel wa Asrar Al – tawee) . It is the most important phenomenon which deserves care with it and after the material of research has finished from collecting its nature required to be divided in to three chapters beginning with introduction , interface and ended with the research results then the references list which I benefited from it in my study comes after it .

They were many and various of explanation books , the holy Quran sciences and its definition , grammar books , conjugation , language and others .

About my study in interface I had divided it into two parts : the first : about Al – Baidhawi and his scientific biography . it is obvious for students what Al – Baidhawi has of agood status between the explainers , the second : was in definition of expansion in meaning about being one pronunciation or term perhaps has more one meaning in the context that it was and the elements of expansion have to be available in context of the holy Quran expression .

The title of first chapter was (the expansion on the grammar level) it includes many aspects such as : the omission , exception and multiplicity aspects of definition .